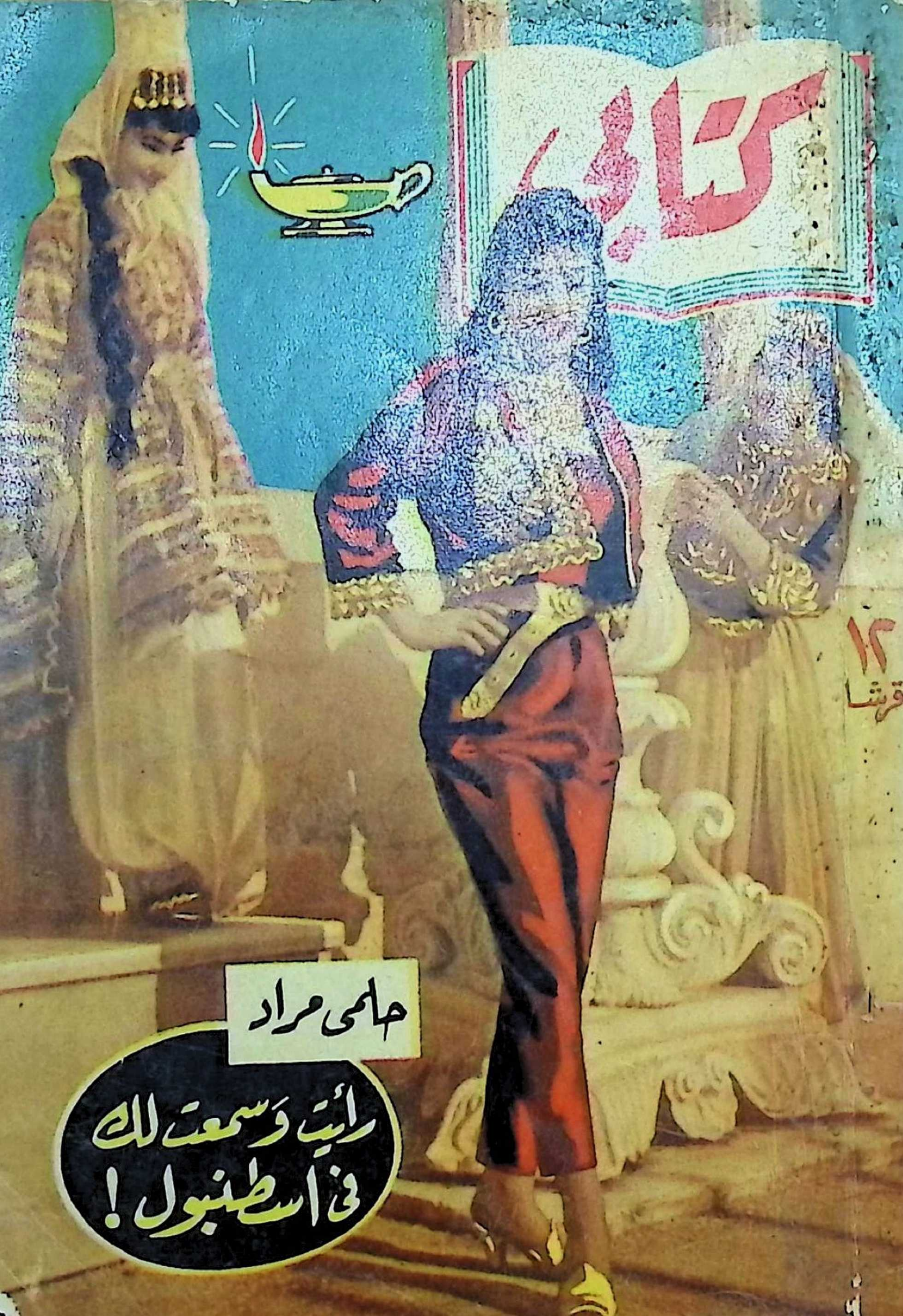




کتاب

۱۲
قرن

حامی مراد

اَیَّتِی وَ سَمِعْتُ لَکَ
فَیْ اَسْطَبِقُولِ !

كتالوج

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره: حلمي مراد



اطلب مع هذا العدد هديته المفصلة :

اقرأ معي

مجلة ثقافية مصورة

في ٣٢ صفحة من القطع الكبير

الكتاب الخامس والثمانون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والاعداد السابقة : التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة)
تليفون : ٥٩٥٥٦

صورة الغلاف

الى ما قبل سنوات قليلة ، كانت
اسطنبول مدينة من أبهى مدن العالم
.. كانت الجماهير المتزاحمة في
الاسواق ، وامام المساجد ، وعلى
قنطرة (جالاتا) ، تموج بألوان الثياب
الشرقية الرائعة التطريز .. لكن
هذه الازياء بألوانها الزاهية تقل
وتزداد ندرة يوما بعد يوم ، بحكم
مقاييس الحياة العصرية .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٧	رأيت وسمعت لك في اسطنبول : مشاهدات وتعليقات للمحرر
٣٥	بيكاسو (أسطورة القرن العشرين) : قصة حياته وكفاحه الفني
٥٩	يوجين أونيجن : من روائع المسرح الغنائى ، للشاعر الروسى « بوشكين »
٧٥	فن كتابة المسرحية : للكاتب المسرحى الهنغارى « لاجوس ايجرى »
٩١	نساء ومآس فى ساحة العدالة (الجثة الحائرة) : للمحقق الفرنسى « روجيه ريجى »
١١٣	سدم وعمورة (مدينة الخطيئة ، التى فر منها النبي « لوط » قبل أن يدمرها الله) : تحقيق تاريخى فى قالب روائى للأثرى المعاصر « بول ايلتون »

مجموعة كتابي

(الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الآن أربعة وثمانون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد ، في
اول كل شهر .

مطبوعات كتابي

(الترجمة الكاملة الأمانة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها سبعة واربعون كتابا (ومجلدان كبيران خارج السلسلة يحتويان
على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب
جميعا من الادارة .

الاشتراكات

♦ تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابي » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة .

♦ الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابي في مصر والسودان والمملكة السعودية
وسوريا والأردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة اجر البريد
المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الأخرى والبلاد الأجنبية فالاشتراك
السنوي ١٨٠ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل .

ولمن شاء ان ترسل له الاعداد بالبريد الجوي المسجل ، ان يدفع فرق
الرسوم .

♦ ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات في مصر باذن بريد عادي .
وللمشتركون في البلاد الأخرى ان يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ،
او تحويلات مصرفية ، او كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، على ان يتحقق
المرسل من امكان صرفها في مصر . علما بان سعرها في مصر ٣٧ مليما .
ومن الممكن لمن في السودان ان يرسل القيمة بحوالة بريدية .



رہنما و جمعہ کی فی اسطانبول

نور



اسطنبول .. الساحرة

فى الاعداد الاربعة الماضية حدثك حديثا خاطفا عن
ستوكهولم ، ومدريد ، وروتردام ، ولاهاى ، وريف هولندا ،
وكوبنهاجن .. واليوم ابدأ حديثى التفصيلى المطول من حيث
بدأت جولتى .. من اسطنبول :

♦ الساعة قبيل العاشرة مساء ، والطائرة منطلقة نحو
(اسطنبول) بسرعة ٥٥٥ كيلومترا (٣٤٥ ميلا) ، على
ارتفاع ٢٢٥٠٠ قدم .. (وان يكن الضغط « المكيف » فى
الداخل مخفضا الى الدرجة التى تناسب ارتفاع خمسة آلاف
قدم فقط) .. والطقس جميل ، يبشر برحلة « ناعمة » ،
على حد تعبير النشرة التى وزعت على الركاب . ودرجة
الحرارة فى الخارج ٢١ مئوية ، فقد كنا فى ليلة ٥ - ٦
أكتوبر ، أى فى اواسط الخريف ..

.. وازدافت النشرة ان قائد الطائرة « الكابتن بيللى » ،
ومضيفتها « مس كوك » ، يرجبان بنا على ظهرها - او على
الاصح « فى جوفها » - ويرجوان لنا وقتا طيبا خلال
الساعتين الباقيتين على موعد الوصول الى اسطنبول ..

**اسطنبول ! .. وشرد ذهنى الى ما يحمله هذا الاسم من
معان ، ومن .. تاريخ ! ..** لقد كانت زيارة هذه المدينة
العريقة حلما طالما داعب خيالى ، وحاولت تحقيقه فى كل مرة
سافرت فيها الى الخارج .. لكنه لم يسر لى الا فى هذه
المره . واخرجت من حقيبتي الصغيرة بعض المراجع التى

حملتها معى عن اسطنبول ، فى ماضيها وحاضرها .. هذا فصل كتبه « لويس جيلينسون » بعنوان : « قدم .. فى كل قرن » ، يزيدنى شوقا الى الوصول ، اذ يقول - ويؤكد - ان اسطنبول من أكثر مدن العالم سحرا ، فعلى مياه البوسفور المزدهمة بالحياة ، المتألثة بالاضواء البراقة ، تنعكس ظلال المنائر الشهقة للمساجد الخيالية ، وقباب الكنائس القديمة

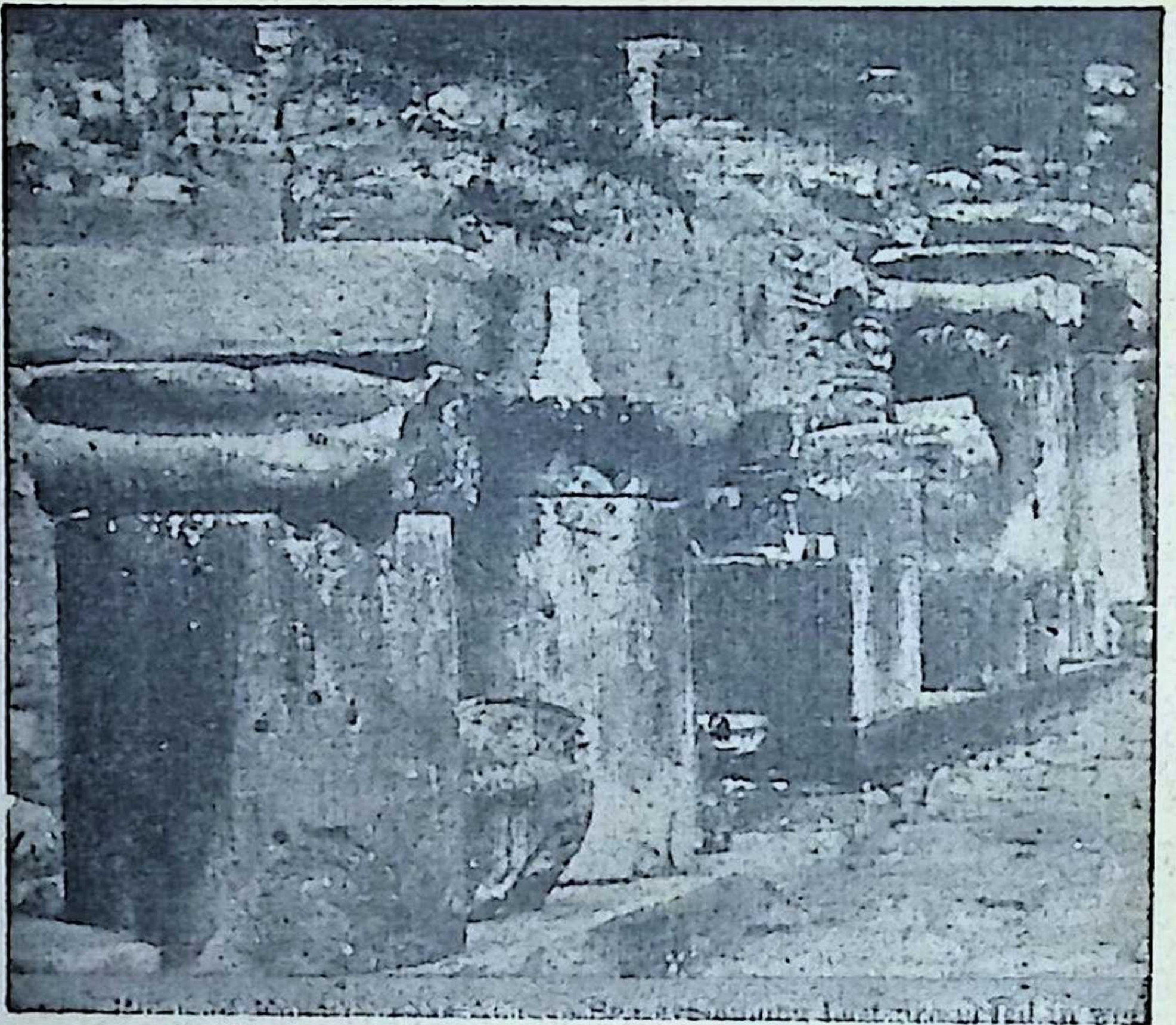


مسجد « ايا صوفيا » كما يبدو من سفينة تعبر البوسفور . !

.. وان قصور اسطنبول المشهورة بالبذخ والترف، ومعالمها الاثرية العريقة ، قد منحتها لقب عاصمة الشرق « الادنى » ، منذ انتزعها الاتراك من البيزنطيين عام ١٤٥٤ .. ولكن حول هذه الصروح المتخلفة من الماضى، تدور عجلة حضارة ناهضة

متعجلة .. فان سكانها البالغ عددهم مليوناً ونصف مليون، لا ينفكون يتضاعفون .. والعمائر والمباني المخصصة للمكاتب والاعمال والشركات ، تشيد بسرعة كبيرة .. والنوادي الليلية تزداد كل يوم ضجيجاً .. ورغم ان الشوارع تزداد اتساعاً، فان الزحام يتكاثف بسرعة أكبر ، وحركة السيارات - الجديرة بأية عاصمة صاخبة - تكاد تغدو .. مستحيلة ! .. ان تركيا - بمصادفة « جغرافية » محضة - قد صارت بمثابة قنطرة أو « سرداب » يصل بين عالمين : الشرق والغرب ! .. وطوال قرون ، ترك الملوك والسلاطين وأمراء الحرب الوثنيون « بصماتهم » على طول البلاد وعرضها ، وهم يجتاحون أرضها ، في غزواتهم للحضارات . وبقيت من تلك العصور أرض تحمل قسماً وجهها طابع الشرق وسماته، بينما تستحم أقدامها في أمواج « مد » النفوذ الاوروبي ، الذي أزال عنها آثار التقاليد العتيقة ، وشربها بروح الحاضر الذري !

« والبلاد اذ تلقى دثارها ، وتفك أزارها ، تتكشف لرائرها كمتحف ليست له أسوار ! .. أو كمشهد عريض رائع من الاطلال الاثرية ! .. وان تركيا الحديثة لهي من الغموض في اذهان غالبية الغربيين بحيث يندر أن يقرنوها بالحقب التاريخية الخالدة التي تنتمي اليها . ففي الازمان الغابرة بنى الحيثيون والسومريون حضاراتهم على سهولها وشطآنها ، التي ازدهرت طوال ثلاثة آلاف عام .. وان هذه الاسماء اليونانية المتداولة المشهورة ، مثل : طروادة ، أيونيا، افسس ، لهي من معالم تركيا التي تدخل في نطاق حدودها :



أطلال مدينة (أفسس) ، قرب بحر (ايجه) ، وقد أسست عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وكانت مركزا تجاريا هاما في عصر الرومان

ففي حمامات مدينة (أفسس) كان الامبراطور ((مرقس أوريليوس)) يغتسل ويستحم ليعالج مفاصله التي أتلفها الرومانيون .. وفيها كتب ((تأملاته)) المشهورة .. ويرجع نسب الاتراك الاصليين الى الجموع الضخمة التي هاجرت الى أرضها من وسط آسيا - (وحتى اليوم ، ما زال خمسون مليونا من سكان روسيا يتكلمون اللغة التركية) ! .. وخلال العصور التي تلت ذلك ، تعرض الاتراك

لغزوات الهون ، بقيادة « أتيل » . . والمغول ، بقيادة
 تيمورلنك وجنكيزخان . . ثم ما لبثت أن زحفت من الشرق
 عشائر تركية منظمة - مثل السلاجقة في القرن الحادى عشر ،
 والعثمانيين فى القرن الثالث عشر - فاعتنقوا الاسلام وأقاموا
 الامبراطوريات التركية العظيمة التى حكمت حتى بداية
 القرن العشرين .

« وتركيا الحديثة تبدأ بمصطفى كمال ، ضابط الجيش
 الذى انتشل وطنه - بين يوم وليلة - من ماضيه الرجعى
 الذى انحدر اليه عقب الحرب العالمية الاولى ، بانحلال
 الامبراطورية العثمانية ثم انهيارها . . اذ لم يكد « كمال »
 يتولى زمام الحكم حتى اصاح الجيش ، واتخلص من السلطنة
 - بحريتها ، وفساد بلاطها ، واستبدادها البغيض - وألهم
 مشاعر الشعب بوطنية جديدة . . فلما حل عام ١٩٢٣ كان
 الامر قد استتب له تماما ، فأعلن قيام الجمهورية ، وألغى
 الحجاب والطربوش - كرمزين للرجعية - وفصل الدين عن
 الدولة . وحين مات « أتاتورك » عام ١٩٣٨ - نتيجة لارهاقه
 نفسه بالعمل ، وافراطه فى استهلاك صحته - كان قومه قد
 « ألهموه » ! . . او كما قال عضو مفصول من جماعة الدراويش
 التى حلها أتاتورك وألغى وجودها : « كيف كنا لنعترض على
 حكمه ؟ لقد كان ديكتاتورا عذبا ! »

فأل حسن . . فى المطار !

♦ وقطع على استرسالى فى القراءة صوت المضيقة الناعم
 تعلن اننا نوشك أن نهبط فى مطار اسطنبول - واسمه

الرسمى مطار « ييسيلكوى » - وتطلب الينا ذلك الطلب التقليدى: أن نكف عن التدخين ونربط الاحزمة على صدورنا. وكان الليل قد انتصف تماما حين غادرنا الطائرة ، فى طريقنا الى دائرة الجمرك والجوازات . وكنت قد قرأت فى احدى الصحف وصفا لتشدد السلطات التركية فى تفتيش زائريها ، لمنع دخولهم بأكثر من قدر ضئيل من العملة التركية النقدية، بحكم البون الشاسع بين سعرها فى أسواق العالم الحرة ، وسعرها فى داخل تركيا . (فكان السائح الأمريكى يومئذ يستطيع مبادلة دولاره فى سويسرا مثلا أو لبنان بنحو ١٦ ليرة تركية، فى حين لم يكن يحصل مقابل الدولار فى اسطنبول الا على تسع ليرات فقط ، بالسعر الرسمى - ولم يكن يجرؤ على المبادلة بأحسن من هذا السعر فى السوق السوداء لان السلطات تطالبه باعلان عدد الدولارات التى يحملها عند دخوله وعددها عند خروجه ، وما نقص منها ينبغى أن يقدم عنه شهادات مبادلة من البنوك أو الفنادق ، والا .. جلب على نفسه المتاعب التى لا أول لها ولا آخر !)

بل لقد قيل لى يومئذ أن السعر الرسمى للدولار فى تركيا كان قبل ذلك التاريخ بفترة وجيزة أربع ليرات فقط ، فلما استفحلت المبادلات فى السوق السوداء ، اضطرت السلطات الى رفع سعره الرسمى من ٤ الى ٩ ليرات تركية .. ومع ذلك لم تتوقف المبادلات فى السوق السوداء ، فإن الفرق كان ما يزال كبيرا بين ٩ ليرات و ١٦ ليرة ، ومن هنا كان بعض المغامرين يشترون دولارات السياح الامريكيين بنحو ١٢ أو ١٣ ليرة ، لتبيعها عصابات المهرين بعد ذلك فى سويسرا

ب ١٦ ليرة ! . . (وتنقسم الليرة التركية الى مائة « قروش » - وهم ينطقونها « كروش » Kurus أى ان القرش التركى بمثابة نصف مليم مصرى .)

ولم يكن الحظر فى الجمارك مقصورا على العملة التركية ، بل كان يتعداها الى سائر الكماليات التى حرم استيرادها فى تركيا ، او قيد ، مثل العطور الفرنسية ، والبضائع الامريكية ، والويسكى الاسكتلندى ، و . . البن ! - ولا تعجب ، فقد كان الحصول فى تركيا على قدح من القهوة « التركية » امرا عسيرا للغاية ، واذكر انى لم أجده الا فى « كافتريا » فندق هيلتون باسطنبول ، وكان ثمنه نحو خمس ليرات تركية ، اى اكثر من عشرين قرشا مصريا ! . . وقد سألت أحد الاتراك عن سبب تحريمهم لاستيراد البن ، فأبدى دهشته من دهشتى ، بقوله : « ان العملات الصعبة التى ننفقها فى شراء البن ، نستطيع ان نفعل بها الكثير مما ينفع البلاد . . وفى وسع المرء ان يشرب بدلا من قدح القهوة قدحا من الشاي مثلا . . »

على اننى اذا كنت قد هضمت فكرة منع استيراد البن - ربما لآتى لا أدمن تناول القهوة - فانى لم أستطع هضم فكرة منع استيراد أفلام التصوير العادية ، سيما فى بلد سياحي وميناء عالمية مثل اسطنبول . ولولا اننى كنت أحمل ما يكفينى من أفلام لانى كنت فى طريقى الى أوروبا وكنت حريصا على عدم انفاق عملى المحدودة فيها فى شراء أفلام ، لكنت عجزت عن التقاط صورة فوتوغرافية واحدة فى اسطنبول !

ولأعد من هذا الاستطراد الى .. جمر ك مطار اسطنبول .. فأقول ان حظى فيه كان حسنا - رغم كل ما سمعت - فلم تستغرق الاجراءات معى فيه أكثر من دقائق ، اكفى الموظف خلالها باقراراتى فلم يتعبنى بتفتيش ولا تحقيق .. وكان هذا فألا طيبا استبشرت به ، أو كان عاملا «سيكلوجيا» أشعرنى بأننى سأقضى فى اسطنبول أياما ممتعة ! وقد كان ..

غرفة .. لشخصين !

• وقبل أن أغادر المطار القيت عليه نظرة سريعة، فاذا فيه مطعم كبير ، ومكتب للبريد والتلغراف ، ومكتبان لبيع الكتب والصحف والمجلات - بجميع اللغات ! - احدهما فى الصالة العليا المخصصة للمسافرين ، والاخرى فى الصالة السفلى الخاصة بركاب « الترانزيت » العابرين . وأحسست بشيء من الحسرة والخجل ، من مطار القاهرة .. الحالى !

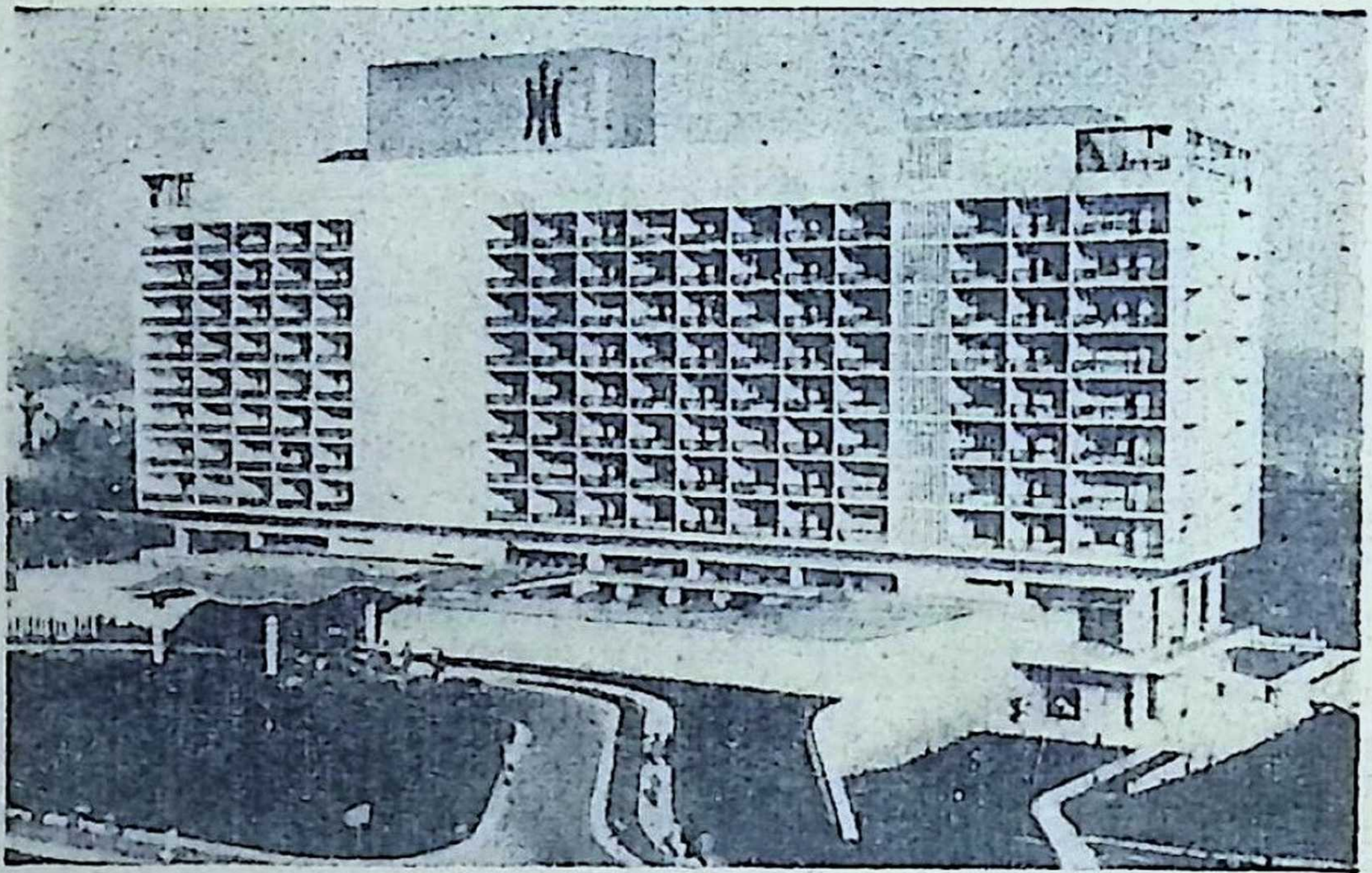
ومطار اسطنبول يبعد عن وسط المدينة نحو ٥٥ دقيقة بالسيارة ، وطريقه يكاد يخلو تماما من العمران . وسيارات شركات الطيران تقلك منه الى المدينة مجانا ، (بينما هى تتقاضى عندنا ، من مطار القاهرة الى قلب المدينة ، عشرين قرشا من كل راكب) . أما لو شئت أن تركب سيارة « تاكسى » من مطار اسطنبول الى وسط المدينة، فانك تدفع عشرين ليرة تركية ، أى نحو جنيه مصرى كامل . وكنت الراكب الوحيد فى سيارة شركة الطيران - الراكب

الذى لم تكن في انتظاره سيارة خاصة ، ولا صديق ! - ولم يصحبني في السيارة سوى موظف الشركة المكلف بتوصيلي الى الفندق الذى حجزوا لى غرفة فيه ..

ولهذا الحجز قصة طريفة :

فقبل سفرى من القاهرة ، التقيت فى مكتب شركة الطيران التى أعدت لى التذكرة ، بسائح أجنبى جاذبنى الحديث ، فقال انه يعرف اسطنبول جيدا ، ويعرف أنها تكون مزدحمة للغاية فى مثل ذلك الوقت من السنة ، بحيث يتعذر على أن أجد فيها غرفة بسهولة ، ان لم أحجزها مقدما قبل سفرى . وأضاف أنه لن أجد غرفة « لائقة » الا فى فندق من فنادق الدرجة الاولى ، لان اسطنبول ليس فيها فنادق من الدرجة الثانية ! (وقد ذكرنى هذا فيما بعد - حين عرفت اسطنبول - بما يقال للسائحين القادمين الى بلادنا ، عن القاهرة !) .. ثم ختم السائح نصيحته بأن الفندق « الوحيد » المريح فى اسطنبول ، والتالى فى الدرجة لفندق « هيلتون » ، هو فندق « ديفان » .. فما كان منى ، بدافع الحيلة والشكران للظروف التى قيضت لى هذا الناصح الامين ، الا أن أخذت بنصيحته « مبخرة ، معطرة » ، فاستبعدت منها شقها الاول بطبيعة الحال ، (أعنى فندق « هيلتون ») ، وبادرت فطلبت الى الموظف الذى أعد لى التذكرة أن يحجز لى غرفة فى الفندق الآخر الذى يليه فى الاسعار : فندق ديفان ، (وهى على ما فهمت تحريف لكلمة « ديوان » العربية) .

ثم سافرت مطمئنا .. ووصلت مطار اسطنبول مطمئنا



فندق « اسطنبول هيلتون » ، وبه حدائق مدرجة واحواض
للسباحة ، وتحيط به مناظر رائعة تنتهى الى البحر ١٠٠

• • وركبت سيارة شركة الطيران مطاهئنا • • وقطعت بى
السيارة المسافة الطويلة من المطار الى قلب المدينة وأنا • •
مطاهئ ما أزال • • حتى وقفت بى فى ميدان فسيح ، أمام
باب الفندق المنشود ، وسكون الساعة الواحدة بعد منتصف
الليل يخيم على الحى بأكمله ، وهناك نادى موظف شركة
الطيران حمالى الفندق ليحملوا متاعى من السيارة ، ثم
صافحنى متدنيا لى طيب الإقامة ، وانصرف بسيارته • •
وبعد أن تسلمت من موظف الاستقبال بالفندق مفتاح

الغرفة المحجوزة لى ، وسألته عن برامج زيارة المدينة في الصباح - التى تبدأ في الساعة التاسعة - طلبت اليه ان يوقظنى في السابعة والنصف ، ثم يرسل الى طعام الافطار في الثامنة والنصف .. وهنا ، على ذكر الافطار ، حرصت على ان أخطره بأننى أود الاحتفاظ بحريتى في تناول الغداء والعشاء خارج الفندق ، في أى مطعم من مطاعم الحى الذى أكون فيه ساعة تناول الطعام .. فقاطعنى بقوله ان وجبات الطعام الثلاث ، بما فيها وجبة الافطار ، ليست محسوبة ضمن أجر الغرفة ، الذى يقتصر على المبيت فقط :

- **وكم أجر الغرفة ؟**

- ٧٤ ليرة (أى نحو ٤ جنيهات مصرية وقتئذ) !

- **ليه يا أخى ؟** - (ويخيل الى أنى قتلها بالعريية ، من فرط غيظى !) - ٧٤ ليرة عن غرفة مفردة لشخص واحد ؟

- كلا يا سيدى .. بل هى غرفة لشخصين .

- **شخصين ؟ ! .. ولكنى وحيد كما ترى !**

- هذا ليس شأننا ، فقد طلب منا حجز غرفة لاثنين ..

- **ومن الذى طلب اليكم ذلك ؟**

- شركة الطيران بالطبع ..

(وطبعاً كانت هذه اكدوبة مكشوفة ، اذ لا يعقل ان تختلق شركة الطيران شيئاً كهذا دون طلب منى ، وهى تعلم انها قطعت لى تذكرة لشخص واحد ! .. وقد عرفت خلال اسفارى ان هذه حيلة « قديمة » تلجأ اليها الفنادق الكبرى في كثير من العواصم ، لاستغلال روادها !)
وانا بطبعى أكره الفنادق الكبرى التى « تذبج » نزلاءها

ذبحا «مشروعاً»، دون أن تقع تحت طائلة قانون العقوبات!.. بل اتى أحرص على تجنبها، ربما لسبب آخر، هو أن طابعها و «جوها» يتشابه في جميع البلاد، بحيث لا تحس وأنت فيها بطابع البلد الذى تزوره!.. ثم انى لا أزور العواصم لا تحدث الى رؤساء الحكومات، بحيث أنتقى الفندق الذى يكسبنى «مهابة» تغريهم باستقبالى والتحدث الى.. وانما انا أزور البلاد لارى معالمها، وأعيش فى تاريخها، وأغذى مشاعرى بجبالها ومناظرها ومتاحفها، وأتعارف الى شعبها.. فى الطريق، والاتوبيس، والمقهى، والنزهات الصغيرة.. أزور اسطنبول مثلاً، لا لاظفر بحديث مع زعيم من زعمائها، وانما لاجلس ربع ساعة فى المقهى الجبلى الذى كتب فيه الروائى الفرنسى «بير لوتى» أروع قصصه.. أو أرى الحجرة التى مات فيها «مصطفى كمال» فى قصر «ضوالة بغجة».. أو أرقب غروب الشمس على شاطئ البوسفور أو «القرن الذهبى»، حيث قامت امبراطوريات، ودالت امبراطوريات، ودارت معارك بحرية غيرت وجه التاريخ!.. أو لاركب سفينة تتهادى على مياه (بحر مرمره)، فى مواجهة شاطئ القرم، حيث أدت «فلورنس نايتنجيل» أجل خدماتها للانسانية!

.. أو لاجوس لحظات، رهيبة، فى قلب مسجد «ايا صوفيا»، أتطلع الى سقفه وجدرانها الشاهقة، وكأنى «نملة» أدب على صفحة تاريخه العريق، الحافل، وأنا أتمثل بيت الشعر البليغ اللبق الذى قاله فيه شاعرنا شوقى:

كنيسة صارت الى مسجد هدية السيد الى السيد

فندق شاعري .. من فنيسيا !

♦ و « بلغت » حيلة الفندق الكبير ، بعد أن أبى موظفه ان يعطيني غرفة مفردة بدلا من الغرفة المزدوجة « المجاورة » لي ، او ان يحسب لي أجرها كأنها مفردة - كما تفعل فنادق العالم كله حين لا توجد بها غرفة خالية لشخص واحد - فقررت أن أقضي فيها ليلتي ، « بالطول أو بالعرض » ، وفي الغد انتقل الى فندق آخر ..

وبالفعل ، عوضتني المصادفة في اليوم التالي عن هذا « المقلب » ، حين عثرت على غرفة جميلة في فندق آخر صغير جديد ، مبني على الطراز العصري الأمريكي - اسمه فندق « بلازا » - وكان أجمل ما فيه ان حجراته تطل على مناظر « شاعرية » ذكرتني بمناظر ذلك الفندق من فنادق مدينة فنيسيا الذي رأيته في فيلم « كاترين هيرن » والنجم الايطالي « فيتوريو برانزي » ، وكان اسمه على ما أذكر « غرام ، ذات صيف » ..

وشيء آخر أعجبني في هذا الفندق ، وذكرني أيضا بذلك الفيلم ، هو ان مدخله « الرومانتيكي » الملتوي بين حدائق البيوت المجاورة ، يضيف عليه طابعا روائيا خلابا ..

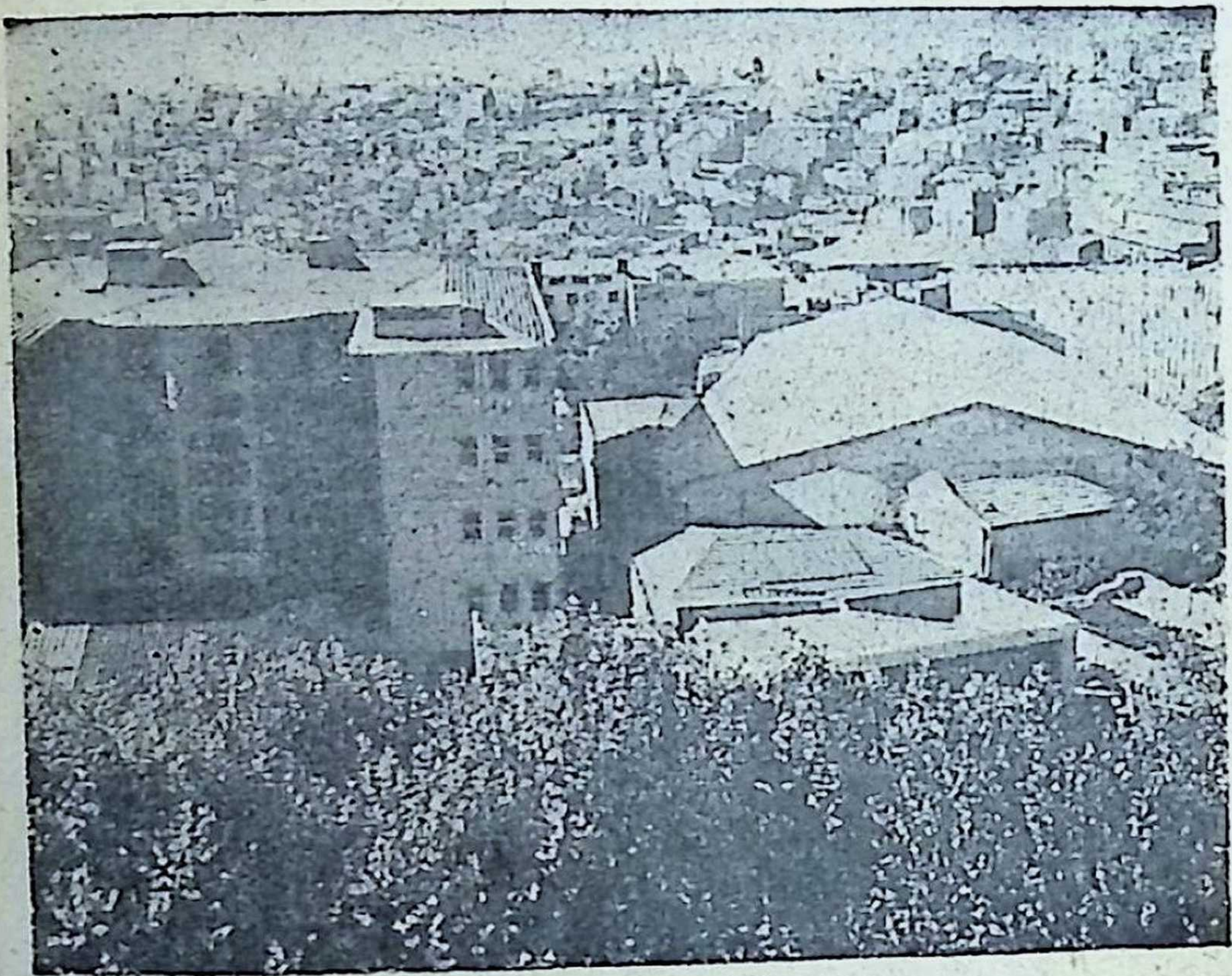
ورغم هذه المفاتن ، فقد كان أجر الغرفة « المفردة » فيه .. تسعا وعشرين ليرة فقط .. وليس ٧٤ !!
كل ساعة من النوم .. تكلفني جنيتها !

♦ وصعدت الى غرفتي بفندق ديفان ، فنفتت غيظي في

حمام ساخن أزلت به « وعشاء » الطائرة ، ثم أدرت مفتاح « راديو الغرفة » ، أو الميكروفون الذى ينقل الى الحجرات موسيقى الاسطوانات الخفيفة التى يذيعها الفندق ، فوجدته صامتا أخرس ! - ولا يجب فقد كانت الساعة الثالثة والنصف صباحا !

وتذكرت انهم سيوقظوننى فى الساعة والنصف ، فلم أجد مفرا من النوم . . على الاقل كى آخذ حقى فى الساعات الاربع الباقية ، التى سأدفع عن كل منها ١٨٥ ليرة !
(أرايت - ايها القارئ العزيز - كم تكلفنى رحلاتى ، من أجل كتابة هذه المقالات لك ؟)

وصحوت على صباح مشرق ، فأطلت من النافذة - وكانت فى طابق مرتفع - على منظر رائع للمدينة الخالدة ذات المنائر والقباب ، وهى تستخيم فى شمس الخريف . . وأضعت أكثر الوقت فى التقاط بضع صور تذكارية من مختلف الزوايا ، ثم تناولت افطارى على عجل وأنا أنظر فى ساعتى خشية أن تفوتنى سيارة شركة السياحة التى ستطوف بى جولتى الاولى فى المدينة . **وحين ركبته من أمام باب الفندق لم أكن أعرف اين أنا من اسطنبول** ، لكنها لم تكد تنعطف وتسير فى شارع (جمهوريت) حتى تتابعت امام ناظرى لافتات مكاتب شركات الطيران والسياحة ، فأدركت اننى فى قلب المدينة تماما . . وبعد بضعة أمتار انعطفت نحو ساحة كبرى الى اليمين ، فاذا أنا أمام فندق هيلتون الرائع - وهو بموقعه،

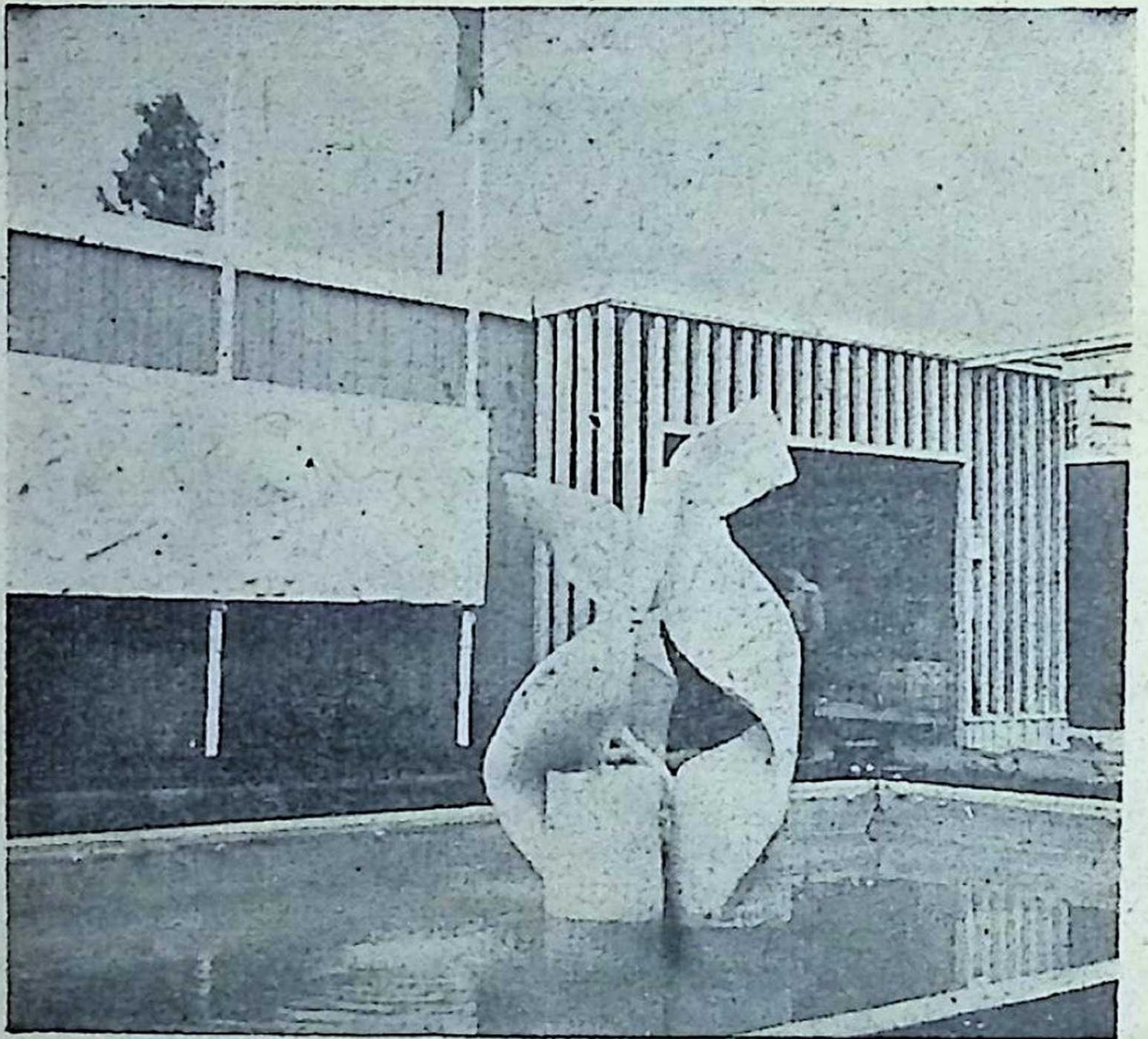


جانب من القسم الحديث من اسطنبول ، كما يبدو من نافذة غرفة عالية بفندق (ديفان) ..

وحداثته ، وصلاته ، أجمل من هيلتون القاهرة بكثير - وقد توقفت السيارة لأخذ من يبغى الاشتراك في الجولة من نزلائه . وصعد سائح بلجيكي وزوجته الشقراء ، وطفلاهما ، ثم شابة أمريكية تعمل سكرتيرة لنائب رئيس تحرير مجلة (لايف) العالمية ، وسيدة انجليزية ، وبعض العجائز الأمريكيات ، وفتاة برازيلية سمراء تدرس في باريس ، و ..

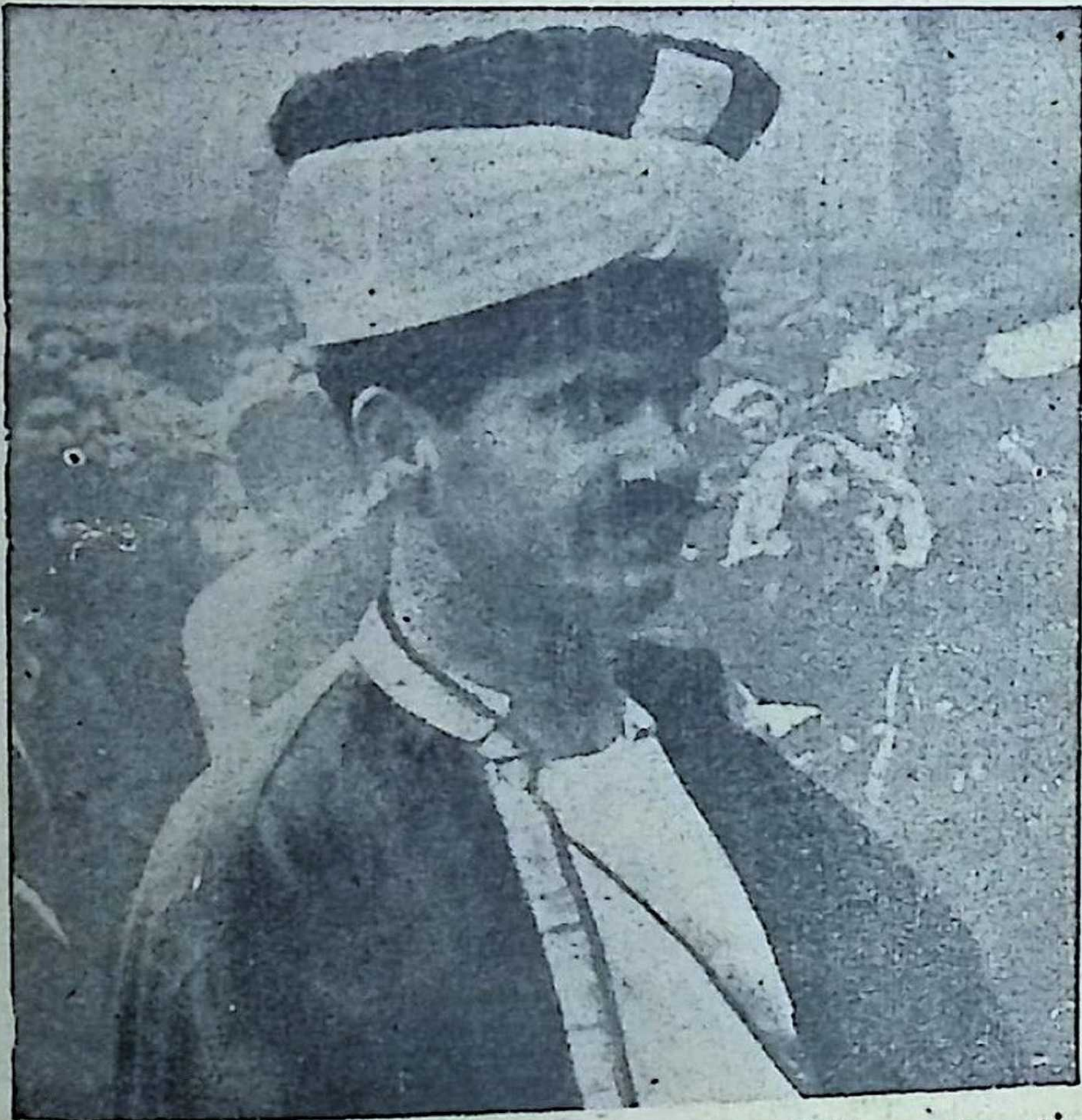
و .. خليط عجيب من مختلف الشعوب والاجناس ، جعل سيارة الاوتو كار الضخمة اشبه بعصبة امم !

واستأنف الاوتو كار سيره فدار حول ابنية المعرض التركي - الشبيه بسوق للانتاج القومى - ثم انحدر فى شوارع



جناح من معرض الانتاج التركى فى اسطنبول ، وقد صمم تصميمها عصريا جميلا .

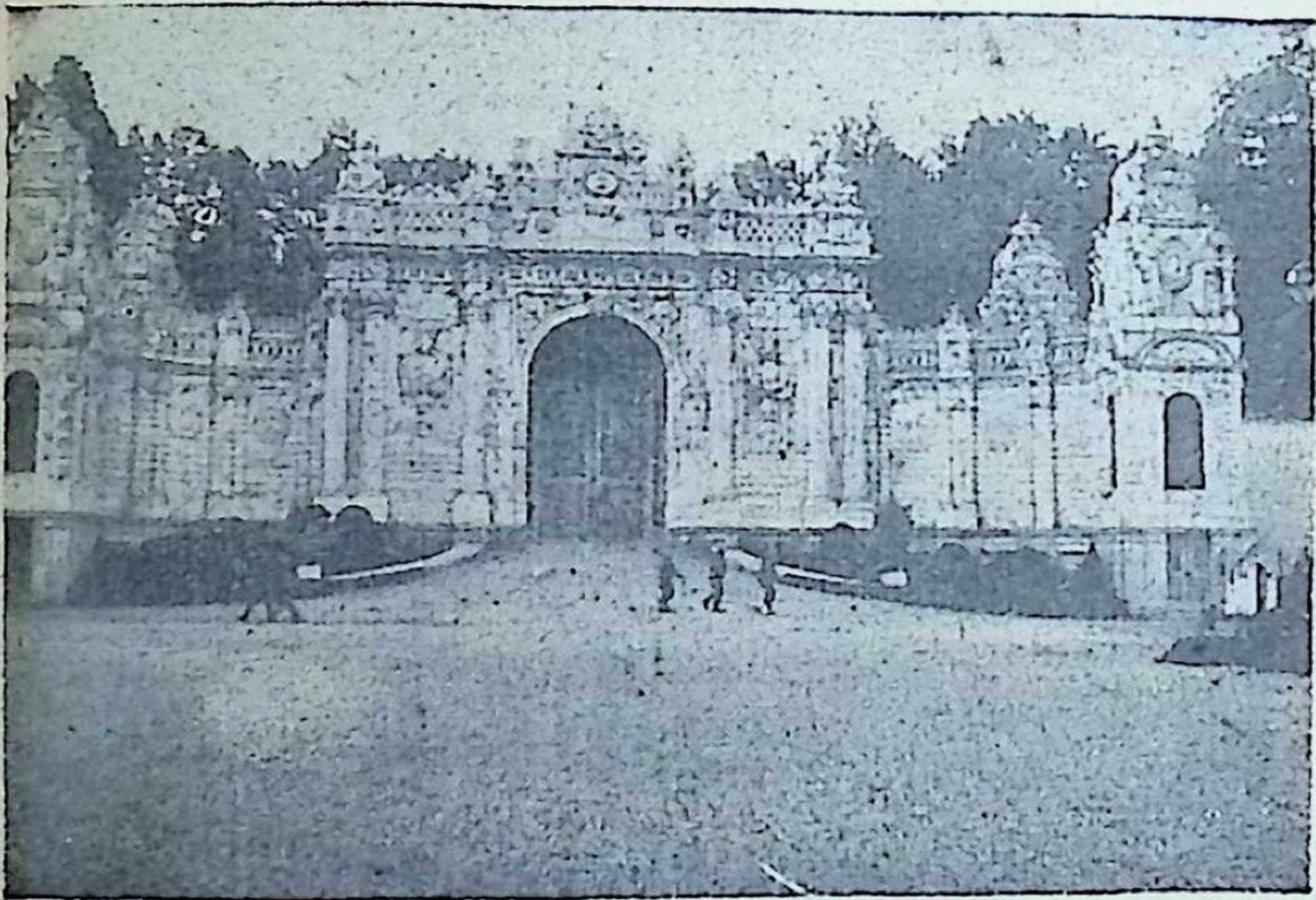
جميلة متجها نحو المرسى الذى سنستقل منه احدى السفن
التي تذرع البوسفور ذهابا وايابا طوال النهار ، والى ساعة
متأخرة من الليل - وهى نزهة اسطنبول الرئيسية - (ومرة
أخرى أحسست بالحسرة لأن زائري القاهرة لا يجدون خطا
نهريا منتظما يسير بين حلوان والقناطر الخيرية مثلا !)
واعترض سيرنا فجأة موكب عجيب طويل كان يخترق شوارع



زى جنود « الانكشارية » ، يرتديه جنودى تركى فى
عيد تركيا القومى ..

المدينة الكبرى : موكب فرسان وجنود يرتدون خوذات القرون الوسطى ودروع الحروب القديمة ، وقد بدت أزيائهم الغربية خليطا من الالوان الزاهية الحمراء والصفراء ! . . . وعلمت أن ذلك اليوم - ٦ أكتوبر - يوم عيد قومي وطني يحتفلون به كل عام بهذا المظهر التقليدي . ثم استأنفت السيارة سيرها وأنا أحاول أن أوزع حواسي بين رؤية معالم المدينة ، وتصوير ما يسترعي اهتمامي منها قبل أن يفلت من متناولى بحكم حركة السيارة ، ثم الاصغاء الى ما يقوله الدليل الذي يرافقنا ، باللغات الفرنسية والانجليزية والتركية . . . وكتابة مذكرات سريعة مختصرة عما يقول ، فقد كان يبدو مطلعاً مثقفاً ، يعتد بمعلوماته ، الى حد ما . . .

وسمعه يقول : ان عشر مساحة تركيا تقع في اوربا ، والتسعة اعشار الباقية تقع في آسيا . . . وان تركيا خاضت في تاريخها الطويل ٣٣ حربا ضد روسيا ، وانها اليوم حصن هام ضد الشيوعية . . . وان في مدينة اسطنبول ٤٤٤ مسجداً ، و ٢٠٥ كنيسة ، و ٣٠ معبدا لليهود . ومررنا على « ستاد » رياضي قال الدليل انه يتسع لثلاثين ألف متفرج ، ثم أضاف ان أهم رياضة يمارسها الاتراك هي المصارعة . . . ومررنا على قصر كبير ، كان بابه الضخم شبيهاً بقطعة من « الدانتلا » ، فقال الدليل انه قصر « ضوالة بغجة » الذي شيده السلطان عبد المجيد ، وبه ٢٢٠ حجرة ، وقد مات « مصطفى كمال » في إحدى حجراته ، اثناء زيارته لاسطنبول في نوفمبر عام ١٩٣٨ . (ولا بد - لزيارة القصر - من الحصول من ادارة



بوابة رائعة منقوشة كاندانتلا ، هي أحد مدخل قصر
(ضوله بفجة) الذي شيده السلطان عبد المجيد ، عام ١٨٥٣

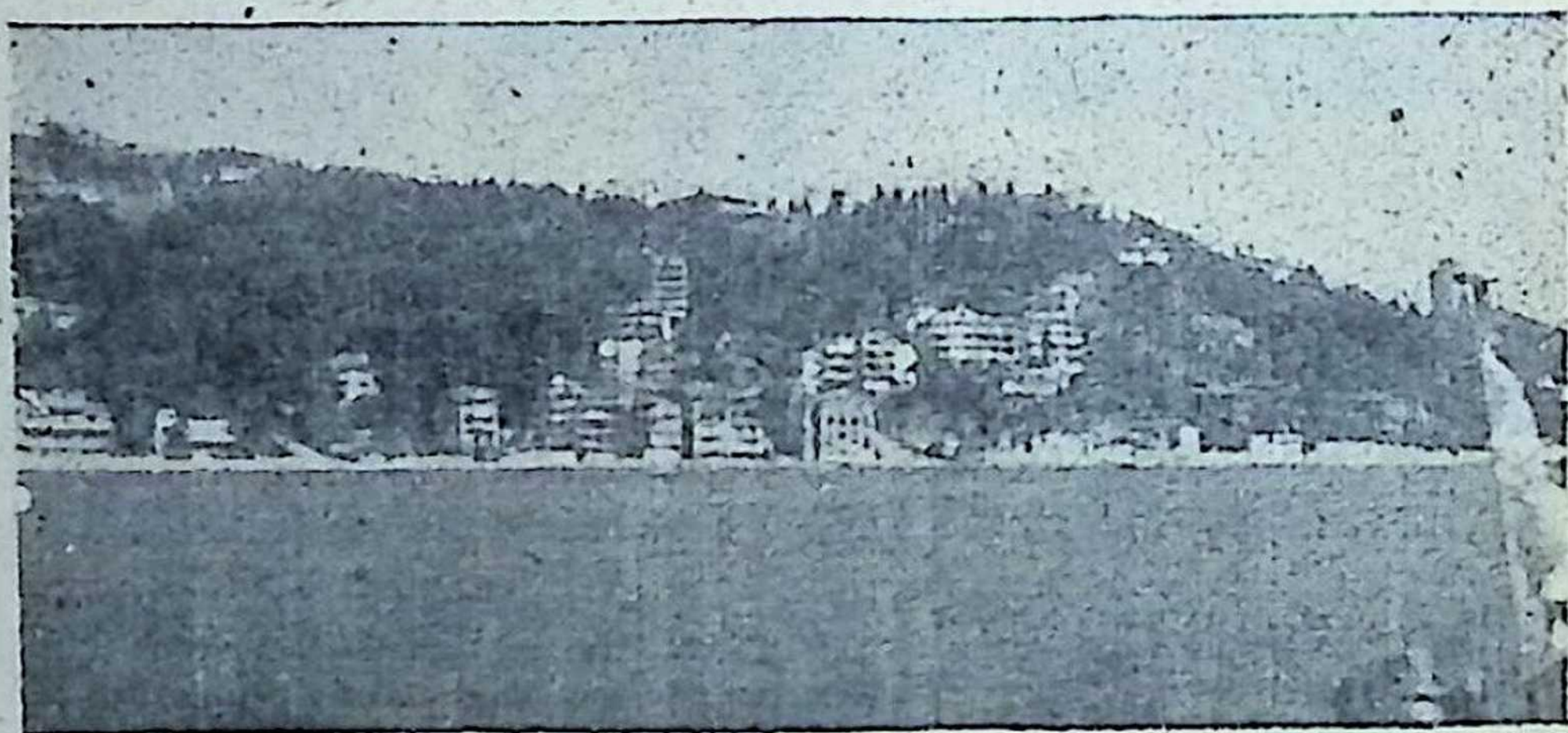
السياحة التركية على تصريح خاص ، والزيارة مقصورة على
يومي الاربعاء والجمعة فقط ، وفي ساعات بعد الظهر ، دون
الصباح .)

نزهة بحرية في البوسفور

♦ وكنا قد وصلنا الى مرسى السفينة فنزلنا من السيارة ،
لكننا انتظرنا وقوفا على عتبة المرسى أكثر من نصف ساعة ،
حتى وصلت السفينة وبدأ ركابها ينزلون .. ولحظت أن أكثر
الركاب من عجائز الاتراك - نساء ورجالا - ومعهم أطفالهم ،

أو بالآخرى أحفادهم ، (ولا بد أن الشباب من الجنسين كانوا في تلك الساعة من صباح يوم الاثنين في مقر أعمالهم ، أو في مدارسهم وجامعاتهم) . . . وحين أفرغت السفينة من فيها ، ركبنا ، وصعدنا الى سطحها لنستمتع بالمنظر الكامل لشاطئ البوسفور ، رغم أن الشمس كانت باردة والهواء شديدا . . . ولم أملك إلا أن أقارن بين تلك السفينة المتواضعة في مظهرها وأثاثها ، وبين مثيلتها الفاخرة البراقة التي تنقل الركاب بين شاطئ (هونج كونج) و (كاولون) في الشرق الأقصى .
(لكنى حين أذكر اليوم كارثة باخرة النيل المشؤومة (دندرة) ، أبتلع ملاحظتى وألوذ بالصمت !)

ومضت السفينة تشق البوسفور ، المضيق المائي المشهور الذي يحف التاريخ بشاطئيه ، والذي يفصل بين قارتين ، اذ يقع شاطئ منه في آسيا ، والشاطئ المقابل له في أوروبا ! . . . وعلى كلا الشاطئين تتناثر - فوق الروابي الخضر - القصور



الصيفية للاغنياء ، ومعاليم التاريخ : من قلاع ، وحصون ،
ومساجد وكنائس أثرية ، وقصور عريقة للسلاطين ، وأبراج
.. الى جانب الفيلات العصرية ، والفنادق ، والمطاعم ،
والمقاهي ، وشواطئ الاستحمام .. بل والغابات البديعة ،
والحدائق الفناء التي تتزوع بالازهار ..

ويتقارب الشاطئان في أضيق مواضع البوسفور فلا يفصل
بينهما غير ٤٥٠ مترا من الماء .. في حين يتسع المضيق في
مواضع أخرى فيبلغ عرضه خمسة كيلو مترات ! .. أما
عمقه فيتراوح بين خمسين وسبعين مترا ، وان كان يصل
في بعض المناطق الى ١٢٠ مترا . وتندفع مياهه بسرعة سبعة
كيلو مترات في الساعة (وبمتوسط ٣٢ ألف ياردة مكعبة في
الثانية) .. وتشتهر مياه البوسفور بالشفافية والصفاء ،
حتى ترى قاعه أحيانا . ونظرا لقلّة نسبة الملح في هذه المياه
فان الاسماك تكثر فيها ، وتنوع اصنافها الشهية .

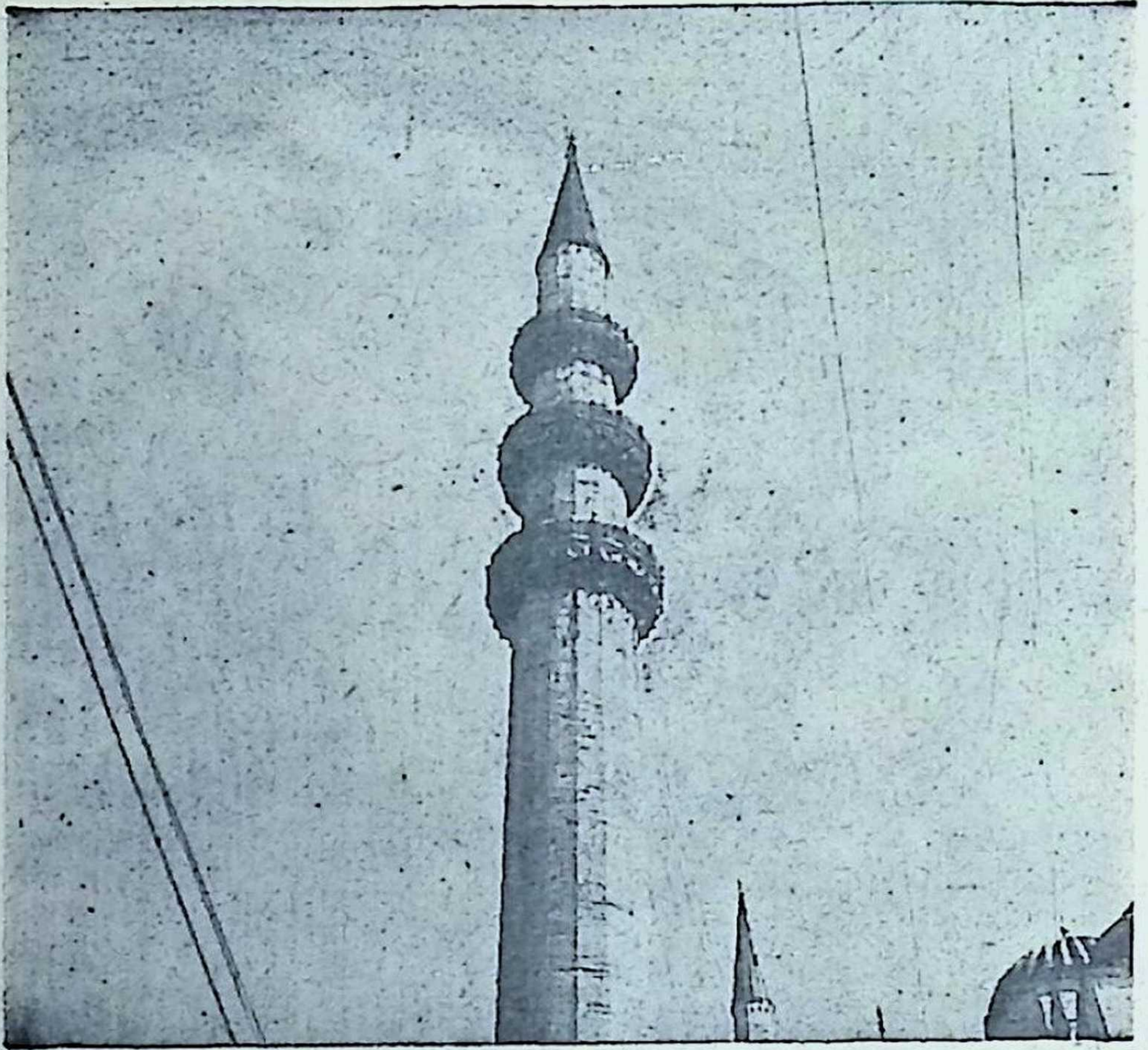
ويتخرج مجرى البوسفور حوالى ثمانية تعرجات كبرى
رئيسية ، عدا التعرجات والخلجان الصغيرة التي لا تقع تحت
حصر . ويبلغ طوله ١٩ ميلا ، (أى نحو ٣٢ كيلو مترا) ،
تصل بين البحر الاسود ، في طرفه الشمالى الشرقى ، وبحر
مرمرة في طرفه الجنوبى الغربى . (وفى الجانب المقابل من
بحر مرمرة ، يقع مضيق الدردنيل ، الذى يفضى بدوره الى
بحر ايجه ، والبحر الابيض المتوسط .. كما هو واضح في
الخريطة المنشورة مع هذا المقال .)

واسم ((البوسفور)) يعنى ((مضيق البقرة)) ، وترجع هذه التسمية الى الاسطورة الاغريقية التى تروى قصة الربة ((ايو)) ، التى مسخها كبير الآلهة ((جوبيتر)) (أو ((زوس))) الى بقرة ، فعبرت هذا المضيق سابحة !

وخلال البوسفور ، يوجد ٢٧ ميناء أو محطة تتوقف عندها السفينة ليصعد اليها ركاب ، وينزل منها آخرون - (منها ١٥ محطة على الشاطئ الاوربى ، و ١٢ على الشاطئ الاسيوى) - وتتسع بعض السفن الكبيرة التى تعمل على هذا الخط لنحو ألف وخمسمائة راكب .

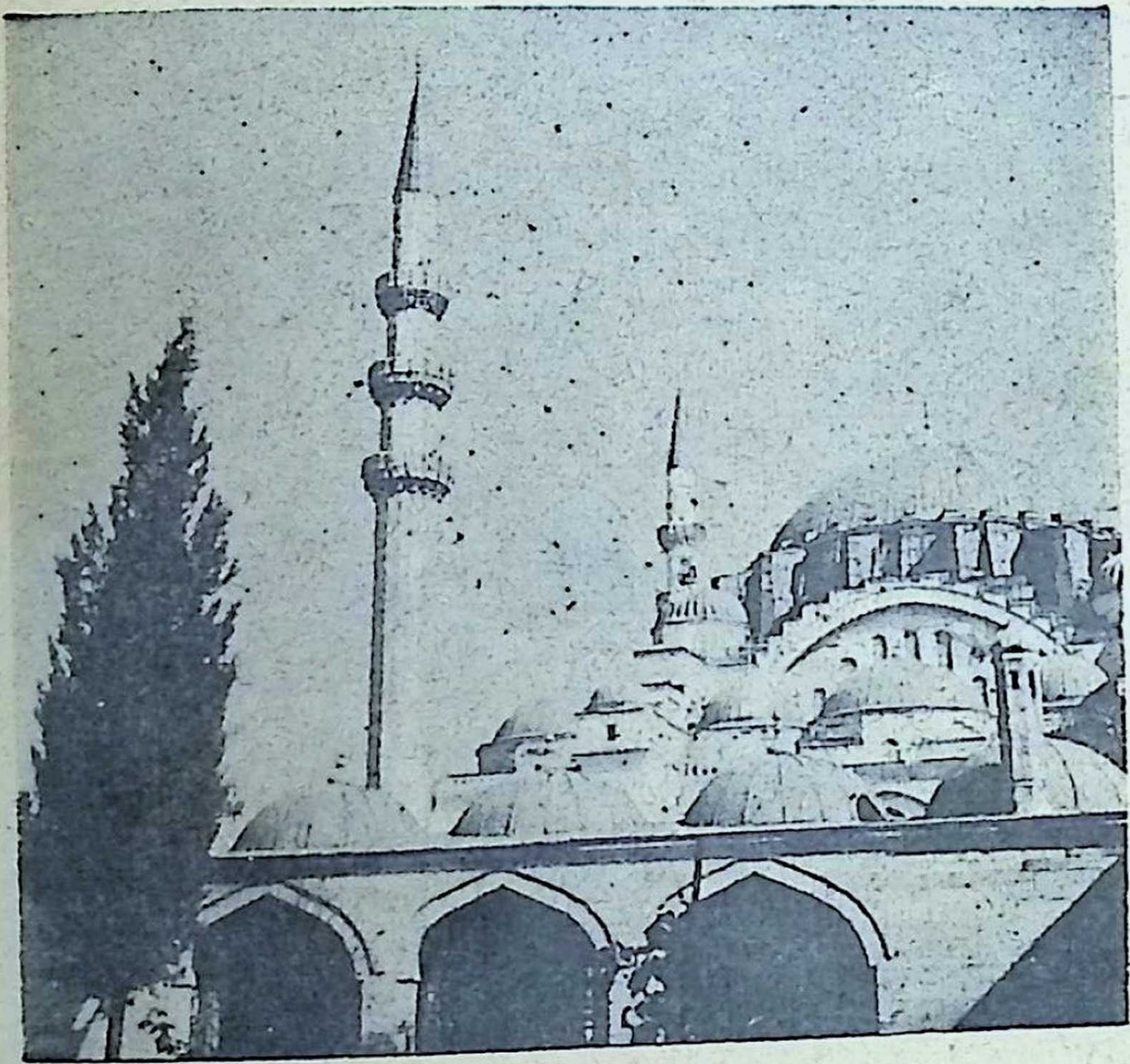
رحلة .. بين صفتى التاريخ !

♦ **والآن** تعال نطل من فوق ظهر السفينة على المعالم الهامة التى نمر بها ، وأكثرها على الشاطئ الاوربى ، أى الذى يقع الى يسارنا ونحن نسير فى اتجاه البحر الاسود : هذا هو مسجد السلطان سليمان ، الذى يتوج قمة التل الثالث من التلال التى شيدت عليها اسطنبول (**فهى - مثل روما - مشيدة على سبعة تلال !**) . . . ويليه مسجد الملكة الوالدة - لست أدري والدة من ، من سلاطين تركيا ! - ثم هاهو أشهر آثار اسطنبول : ((**ايا صوفيا**)) ، الإثر الخالد الذى بدأ كنيسة ، ثم حول الى مسجد وشيدت له أربع مآذن . وفى عام ١٩٣٢ حول من جديد الى « متحف » ، يؤمه الزائرون والسياح . والى جواره ، المسجد الرائع المشهور الذى شيده السلطان أحمد ، ويطلق عليه « المسجد الازرق » ، وينفرد دون مساجد العالم بأن له « ست »



مئذنة مسجد السلطان احمد (المسجد الازرق) - وهو
الوحيد في العالم ذو المآذن الست!! - تبدو شامخة تشق
سحب السماء ..

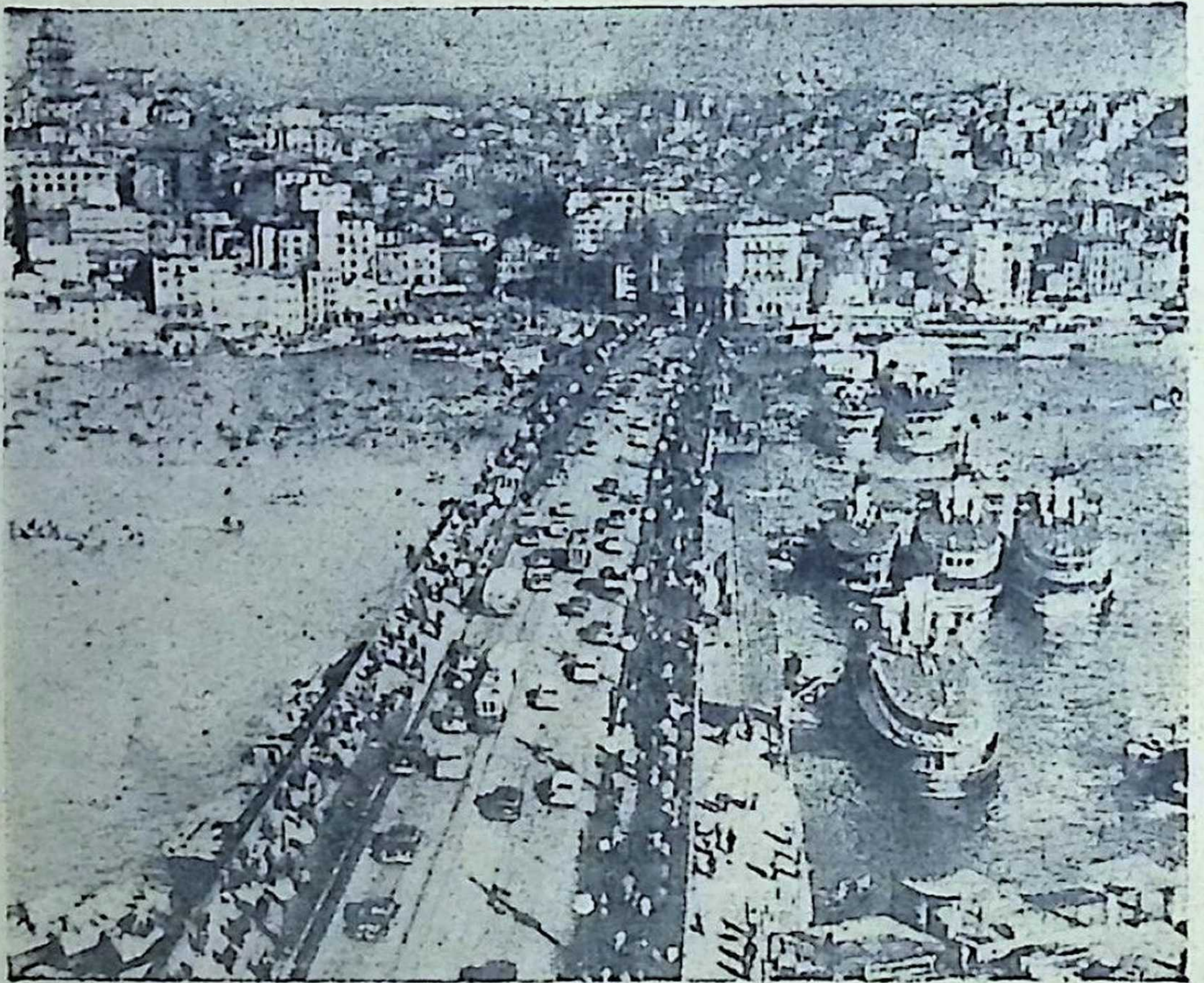
مآذن شاهقة ! .. (وسوف أحدثك عن تاريخ المسجدين
ومحتوياتهما بتفصيل أكثر ، في الفصل القادم باذن الله) .
ثم تتابع السفينة سيرها في البوسفور ، فنلمح ابنية قصر
سلاطين تركيا التاريخي المشهور (سراجوغلو) - وسوف



المسجد الأزرق (مسجد السلطان أحمد) من أعظم معالم اسطنبول

نزوره سويا فيما بعد ، سونرى كنوزه و « عجائبه » التى تجل
عن الوصف ! - وتبدو حول القصر حدائقه الفناء ، ثم أسوار
اسطنبول القديمة التى كانت تحميها من هجمات الاعداء ..
وهذا (منسجد على باشا) ذو المئذنة الواحدة ، الذى صممه
المهندس المشهور « سنان » ، عام ١٥١٨ .. ويليه المسجد

ذو المئذنتين ، الذى بناه السلطان محمود الثانى عام ١٨٢٦ .
 وها نحن نرى عن يسارنا قنطرة كبيرة تموج بزحام شديد
 من المارة والسيارات وعربات الترام والاتوبيس . انها أشهر
 وأكبر قنطرة فى اسطنبول ، وتدعى قنطرة (جالاتا) . وهى
 تربط بين اسطنبول القديمة ، واسطنبول الجديدة التى



قنطرة (جالاتا) ، فوق خليج (القرن الذهبى) ، الذى
 يقسم اسطنبول الى قسمين : اسطنبول القديمة ، واسطنبول
 الحديثة ١٠٠

يسمونها (بيوجلو) - وهي كلمة تركية معناها «ابن السيد» -
 والمدينة الجديدة هي التي تضم الاحياء والشوارع العصرية ،
 والفنادق الكبرى ، والمتاجر والمطاعم والملاهي وشركات السياحة
 . الخ . ويفصل بين قسمي اسطنبول الممر المائي المشهور
 باسم « القرن الذهبي » ، وهو فرع من البوسفور يقسم
 شاطئه الاوربي الى هذين القسمين . وقد شيدت قنطرة
 جالاتا بشكلها الحالي عام ١٩١٠ ، وهناك قنطرة اخرى
 حديثة تربط بين قسمي المدينة - عبر القرن الذهبي ، أيضا -
 هي قنطرة اتاتورك ، وتبعد عن الاولى بضعة كيلو مترات .
 (انظر الخريطة الموضحة لهذه المواقع في صفحة ٢٩)

اما هذا المبنى الابيض فهو مبنى كلية الآداب ، تليه كلية
 الفنون الجميلة . . وهذا قصر (ضوالة بفجة) ،
 بمرسأه الخاص على البوسفور ، وبرج الساعة الضخم
 الشاهق التابع له . . وهذا مدرج « الستاد » الرياضي
 الجديد . . والمسرح الصيفي في الهواء الطلق . . وفندق
 هيلتون . . وكلية الهندسة . . ومحطة الاذاعة . . وفوق
 التل تلوح لنا الآن أكاديمية أتاتورك الحربية . . وقصر
 الرياضة . .

ثم تقترب السفينة من احدى موانئ الشاطئ الاسيوي
 المقابل ، فنرى منطقة « أسكلدار » (أو « سكوتاري ») في
 طرف الاناضول ، وهي المنطقة التي كانت تبدأ منها قوافل
 الابل رحلاتها الى بغداد في الازمان الغابرة . .

(وفي العدد القادم نواصل رحلتنا معا بانن الله)



أسطورة القرن العشرين!

الفنان، وداعية السلام، الذي ملهم جميع مقاييس الفن وتقاليد
هنا الناس والنقاد في فهمه.. ومع ذلك جميع من لهذا الفن ثروة طائلة!

كتاب .. ودعوة على صديق !

عزيزى القارئ ..

.. أما قصة لقائى مع هذا الكتاب ، فان لها فى نفسى ذكرى اليمه حقا .. ذكرى تبدأ ذات يوم منذ شهور ، حين لقينى صديق كريم - هو فى الوقت نفسه طبيب ، وعسكرى ، وأديب - وكان قد طالما ابدى لى اعجابه بـ (كتابى) ، وساهم فى تلخيص كتابين نشر فى حينهما ، (أحدهما عن « عالم الغد » ، والثانى عن الامراض التى تفشت فى جيوش نابليون ، وأدت الى هزيمته) .. فلما لقينى فى تلك المرة تفضل فدعانى لزيارته فى بيته كى يرينى مكتبته الخاصة ، لانتقى منها ما يروقنى فألخصه لقراء كتابى .

وصحبته .. وخرجت من الزيارة بهذا الكتاب الشائق . ثم شاءت الظروف ، أن أفتح الصحف ذات صباح منذ اسبوعين ، فأفاجأ فيها بنعى الصديق الكريم ! فالى روح الصديق النبيل الراحل ، المرحوم الدكتور محمد جلال الدين ، أهدي هذا التلخيص .. شاكرا .. باكيا .

ولد .. وفى يده قلم !

♦ اذا جاز أن يقال ان ثمة انسانا قد ولد وفى يده قلم رصاص ، فان هذا الانسان هو « بابلو نيوميو شينو كريسبينيانو ديلا سانتيسىما ترينيداد روينز اى بيكاسو » .. اسم طويل ، ما كان بوسع احد أن يستذكره ، بله أن ينطق به ، مما حدا بزملاء الصبى - فى صغره - الى أن

يقتضيه الى « بابلو روين » . ولكنه حين كبر ، وبدأ يعرض انتاج القلم الذى ولد به ، اضاف لقب الاسرة الى هذا الاسم ، ثم نزل عن اسم ابيه « روين » ، فأصبح معروفا للعالم بأسره باسم « بابلو بيكاسو » ! . . وقد ازداد هذا الاسم ذيوعا وانتشارا ، عندما ساهم صاحبه فى حركة انصار السلام العالمية ، واتخذت الحماسة التى رسمها ، رمزا للحركة وشعارا لمؤتمراتها .

وقد ولد « بيكاسو » فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٨١ ، فى (ملقا) بأسبانيا ، لاب متوسط الحال ، يدعى « جوزيه روين بلاسكو » ، كان مدرسا للرسم . ولعل هذا يفسر لنا شغف الصغير - منذ نعومة اظافره - بالرسم . ولم يكن رسمه اذ ذاك مجرد عبث اطفال ، بل انه كان ينم - فى الواقع - عن روح فنية واضحة ، متغلغلة فى فطرته . . ولم يكد يتجاوز العاشرة من عمره ، حتى بدأت هذه الروح تتألق وتلمع .

امتحانات شهر . . يؤديها فى يوم !

• وفى سن الرابعة عشرة ، رسم « بيكاسو » لوحات لا تزال تعتبر اليوم - رغم مرور خمس وستين سنة - امثلة للفن التعبيرى الواقعى ، ونماذج لعمق ما تستشفه بصيرة الرسام وراء مظهر النموذج الذى يرسمه . وفى تلك السن ، قدر لاييه ان ينقل الى (برشلونة) استباذا للرسم ، فانتقلت معه أسرته ، والحق « بابلو » بمدرسة الفنون الجميلة . . وكان لابد للطالب من ان يجتاز اختبارات ، يمنح شهرا لادائها . ولكن « بابلو » استطاع ان

يؤديها في يوم واحد !

وفي سن السادسة عشرة ، أقدم الفنان الصغير على الاشتراك في معرض الفنون الجميلة في (مدريد) ، ففاز بأحدى جوائز المعرض . وان هى الا أشهر قلائل - بعد ذلك - حتى كان له مرسوم خاص . ولم يكن هذا المرسوم يضم الى جانب حامل اللوحات سوى سرير ومقعد ، فحمد ((باباو)) الى ريشمته ، ورسوم على الجدران أفخم قطع الاثاث وأدوات الزينة !

وراح يهيم في الطرقات ، وأرصفة الميناء ، والمشارب والحانات ، يرسم كل ما كانت عيناه تقعان عليه : متسكعون ، وعمال منهمكون في كدحهم في الميناء ، وراهبات ، وبغايا ، وكلاب ، ونساء أنيقات ، وشيوخ مكدودون ، وحوذيون ماجنون ..

حائر .. بين أساليب الرسم !

♦ وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره ، لم يكن ثمة شك في أنه قد خلق للنجاح . فرحل الى باريس ليحضر حظه ، وإذا به يبيع ثلاث لوحات في شهر واحد . وشغل في العاصمة الفرنسية بدراسة بعض أساليب الرسم ، ثم عاد الى العاصمة الاسبانية ، حيث بدأ يصدر مجلة فنية ، وحيث أبدى براعة في الرسم بالاستيل .

ولكنه سرعان ما عاد الى باريس ثانية ، ليقوم فيها هذه المرة ، ويمارس فنه متأثرا ببعض الاقطاب الذين برزوا فيها .. فتأثر بالاشكال البوهيمية التي رسمها ((تولوز - لوتريك)) ، و بالخطوط الثقيلة التي كان ((فان جوخ)) يجري بها

فرشاته ، وبتجميعات اللون السطحية التى اشتهر بها ((جوجان)) . وكان من جراء ذلك أن تحول «بابلو» عن أسلوبه فى استخدام الالوان الخفيفة ، والاشكال المهتزة غير المحددة . وهكذا راح « بابلو » يأخذ عن مختلف الموارد ، وينتهج الاساليب العديدة . . وكان يتقن كل أسلوب منها فى تفوق بارع ، ثم لا يلبث أن ينبذه ، غير راض عنه . ولعله أكثر رسامى عصرنا هذا تقلبا بين الاساليب .

شخصيات بائسة . . وألوان حزينة

♦ وفى سن العشرين ، كان قد استكمل نضجه الى درجة تمكنه من أن يبدأ أول أعماله الابتداعية ، فشرع فى رسم تلك السلسلة الرائعة من اللوحات التى تمثل شخصيات فقيرة ، بائسة ، شقية ، ذات أجسام هزيلة ، وعظام بارزة ، وأيد معروقة ، وأصابع طويلة نحيفة . . نساء حزينات ، وأطفال يهزون اوتار القلوب ، ومتسولون ، و « بهلوانات » تعساء ، وعاجزون مشلولون ، وازواج وزوجات صرعى الجوع ، ومنبوذون . . الخ .

وكان يفرق لوحاته باللون الازرق القاتم ، الذى ينم عن الاسى ، والازرق السماوى الساجى ، والازرق اللازوردى الشاحب . . ولم تكن اللوحات صورا لبؤساء أهملهم المجتمع الانسانى بقدر ما كانت رموزا وتوريات بليغة تعبر عن بؤس الدنيا التى يعيشون فيها ، وتنم عن حب عميق للانسانية ، واشفاق عارم على أبنائها !

وكان فى تلك الفترة من حياته شابا صغير الجسم ،

أسمر ، بادی الاضطراب الى درجة كانت تثير القلق في نفوس عارفیه .. وكان ذا عینین عجیبتين .. عینین ساکنتين - لا تکادان تتحرکان - تشعان بوجوم وادع ، وترسلان نظرات نفاذة الى أعماق الاغوار .. وكانت له یدان کأیدی النساء ، لا تکفان عن الاختلاج بحركات لا ارادية تنم عن ارتباك وخجل . وكان شعره غزيرا ، أسود ، لامعا ، يتألق تحته جبین يشی بالذكاء والعناد معا .. ولم يكن يبدى اكتراثا بزیه واناقتہ ، فكان يجمع في مظهره بين اليوهيمى والعامل .

« السيرك » يلهمه اتجاهها في الفن

• وكانت لياليه رسما ، وغشيانا للحنانات والملاهي ، ومرانا على الرماية بالمسدس .. كما انه كان من هواة مشاهدة مباريات المصارعة ، وحفلات « السيرك » ! وكان شغفه بالسيرك - لا باللعبين فحسب ، بل بالرواد ، وبما وراء الكواليس كذلك - هو الذى استدرجه الى اتجاه جديد في استخدام الالوان .. فمع ان « البهلوانات » ، والمهرجين الذين كان يرسمهم ، احتفظوا بالطابع الحزين ، البائس ، الذى كانت شخصياته تتسم به ، الا ان اللون لم يعد مقبضا - كالأزرق القاتم - ولا باردا ، كالأزرق السماوى أو اللأزوردى الساجى .. بل انه انتقل من « مرحلة الأزرق » - التى يعتبرها معبرة عن انفعال عاطفى مفرط - الى « مرحلة الأحمر الوردى » ، أو الأحمر القرنفلى .. وهى فترة راح يستعين فيها عن المرح المادى بظلال وردية رقيقة ، وأصباغ حمراء دافئة . واصبحت شخصياته تتسم



((المأساة)) !

لوحة من روائع « بيكاسو » معروضة بمتحف « ناشيونال جاليري » للفن ، بمدينة (واشنطن) . بأمريكا

بالتفاف القوام في تناسق عذب ، وبنبل في السمات لا يشى بعمر .. وهذا - في عرف النقاد الفنيين - ابداع مدهش بالنسبة لشاب لم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين ، في ذلك الحين .

كان العالم الذى راح « بيكاسو » يحاول رسمه ، عالما يمتزج فيه النور والظل ، فوق مستوى واقعية الحياة اليومية العادية ، ولكن الناس الذين يسكنونه جمعوا بين الصرامة والسكون . وقد وصف الناقد الفنى « موريس رايغال » هذا التطور بقوله : « اننا نلمس في وجوههم الخالية من التعبير ، دأب بيكاسو على التفكير في أسلوب يتفرد به . فهو لا يفتأ يصقل الخطوط البارزة ويهذبها ويخففها ، شاقا طريقه نحو مدرسة جديدة . وهو يصل في هذا الى درجة من الكمال تفوق التصور . فليس من المبالغة في شيء أن نقول ان عدة لوحات من « العهد الوردى » تقف في صف واحد مع أرقى وأسمى التحف الرائعة في تاريخ الرسم »

الهام .. من أواسط افريقيا !

• **وهكذا** كان « بيكاسو » - حين بلغ الخامسة والعشرين - فنانا راسخ القدمين ، يقبل الناس على لوحاته ، ويتنافس الهواة على شرائها . ولقد ذكرت « جرترود شتاين » - وهى من غلاة هؤلاء الهواة - انها جلست أمام بيكاسو ثمانين مرة ، كى يرسم لوحة لها . **وعندما أوشك ان يفرغ من اللوحة ، شعر بأنه لم يكن راضيا عما رسم ، فلم يحجم عن أن يحا الوجه من اللوحة محوا ! ..** ثم قام برحلة ، ولم يعد الى اتمام اللوحة الا بعد ثمانية اشهر . وفي هذه المرة ، رسم

ملاحم الوجه ، ولكن .. دون أن يدعو « جرترود » الى الجلوس أمامه . فقد بدأ يزداد اعتمادا على الذاكرة والخيال ، منه على النموذج المنظور !

والواقع انه كان قد بدأ يفكر فى امكان أن يكون الرسم فنا مستقلا بذاتيته عن المرئيات ، فهو فى جوهره فن تصويرى خالص .. وهذا اغراق فى محاولة تطبيق الدعوة التى كانت تنادى بممارسة « الفن لوجه الفن » ، دون تقييد بالطبيعة ، بل ودون مراعاة لتشابه المرسوم بالاصل الطبيعى .. فهو فن لا يبدل ولا يغير فى الطبيعة فحسب ، بل انه يبتكر أشكالاً وتفصيلات من ابتداع خيال الرسام ، وان لم تطابق الطبيعة فى شىء !

وكان زملاء له قد اكتشفوا اقنعة منحوتة فى الخشب ، لدى بعض القبائل الزنجية فى افريقيا ، فاذا بالزوايا الحادة ، والخطوط المستقيمة - التى اتبعت فى نحتها - تبهر الفنان الشاب ، واذا أشكال الاقنعة تسحره ، اذ اكتشف انها كانت تجمع بين سداجة الفطرة ووحشية البداوة ، بشكل قد يستحيل أن يتوفر فى الطبيعة ، وان كان - كما تبدى لعينيه - ينم عن جهد فنى .

اللوحة التى أحدثت انقلاباً فى الفن !

♦ وهى هذا الاكتشاف مقاييس الجمال المصطلح عليها ، والقواعد التقليدية للفن ، والاصول المتبعة فى رسم الاشكال المنظورة .. واوحى بامكان اضافة بعد جديد الى الابعاد التى كان الفنان يلتزمها فى الرسم ، وهذا البعد الجديد هو الذى افضى الى نظرية المكعبات .

والى أن توصل « بيكاسو » الى هذه النظرية ، لم يكن سوى مرتاد يسعى الى اكتشاف احتمالات الاشكال الهندسية . فلم تكن لتلك التماثيل الافريقية قيمة حقيقية لديه ، اللهم الا في انها ساعدته على تعديل وتنقيح خبرته ، ليحاول أن يرسم للعالم صورة جديدة ، يطفى فيها كل من « الطبيعة » وما « فوق الطبيعة » على الآخر ، ليؤلفا واقعا فذا . فهو يحاول أن يصور الجمال بخطوط تجمع بين ما يراه في الطبيعة ، وما يراه بخياله الذى يحلق فوق الطبيعة، وبذلك يمثل الواقع كما يبدو لعينه الفنية ، غير مقيد بما يبدو عليه في وضعه الطبيعي !

وقد تكشفنا هذه « الواقعية الفذة » - بشكل اذهل الجميع - في لوحة « الانسات دافنيون » ، التى رسمها بيكاسو وهو فى السادسة والعشرين من عمره ، والتى انطلقت فى عالم الفن كالقنبلة ، كاشفة عن قواعد جديدة للجمال اثارت جدلا عظيما ، ومعلنة عن انقلاب فى تاريخ القيم الجمالية ، وعن فترة جديدة فى الفن .

الاشكال الهندسية فى الرسم

• ويقول الناقد الفنى « ألفريد بار » فى كتابه : « بيكاسو : خمسون عاما من فنه » ان من الممكن القول بان لوحة « الانسات دافنيون » ، كانت اول صورة تكعيبية ، أى رسمت بطريقة المكعبات التى ابتدعها بيكاسو ، والتى تقسم الاشكال الطبيعية - حية كانت أو جامدة - الى شكل مؤلف من مستويات متغيرة ، منحرف بعضها عن بعض ، شبيه

مبهمة ، مضغوطة جميعا فى فراغ لا عمق له .. وهذا هو
 أبسط تعبير لتقريب نظرية المكعبات الى ذهن القارىء العادى !
 وهكذا أجمع النقاد على أن لوحة ((الأنسات دافنيون))
 تمثل فترة انتقالية فى فن الرسم .. فهى ميدان محاولة
 وتجربة ، ولكنها - فى الوقت ذاته - «عمل متين، جبار، ذو قوة
 دافعة لا تقاوم ، فى مضممار الفن الاوربى فى العصر الحاضر » .
 وكان الفنان ((سيزان)) قد أوحى بأن المناظر والاشكال
 العادية تبدو كما لو كانت مؤلفة من أشكال مخروطية
 واسطوانية .. فأضاف « بيكاسو » - وصديقه الرسام
 « براك » - الى ذلك انها تتألف كذلك من مكعبات . وراحا
 يقومان بمحاولات جريئة فى تطبيق هذا الراى . ولم يطل بهما
 الزمن حتى اضافا اليها مثلثات ومنشورات ، وكافة الاشكال
 الهندسية ذات الزوايا ، التى تجعل من الرسم اشكالا هندسية .

الجراحة ناجحة .. ولكن المريض مات

♦ وبهذا اتجه بيكاسو الى ميدان جديد فى فن الرسم ،
 يهدف الى ملء سطح المنظر بمجموعات من الاشكال الهندسية
 ذات الاحجام . فكان يحلل مايراه ، ثم يعيد تركيبه بعين
 الخيال ، غير عابىء بالشكل الطبيعى أو المادى .. وراح
 يروض عينه على أن ترى الشكل المنظور من عدة جوانب فى
 وقت واحد ، فهو لا يقتصر على نقل صورة المنظور الذى أمامه ،
 وانما هو يحاول أن يترجمه الى ما تراه بصيرته وخياله كفنان ..
 بحيث يصبح الشكل المرسوم تعبيرا قائما بذاته ، مستقلا عن
 الجسم المادى المنظور . أى انه يرسم كيان الشكل لا سطحه .

ولم يقتصر بيكاسو في محاولاته على تعديل أشكال الاجسام ، بل انه نبذ ألوانه القديمة المعبرة ، واقتصر على اللون جافة مثل الرمادي الجامد ، والبني القاتم أو الخابي .. وأخذ يمعن في محاولة انتزاع اللب ، واستخلاص الهيكل الاساسي من غمرة التفصيلات والحواشي التي لا داعي لها . على انه كان كالطبيب الذي يجري تجارب في التشريح . فان العمليات الجراحية التي يجريها قد تكون ناجحة في حد ذاتها ، ولكن الجسم الذي تجري عليه كثيرا ما يفقد الحياة ، فلا يعود له بقاء . وهكذا فان الاشكال التي راح يرسمها بيكاسو كثيرا ما كانت تفقد وجودها تحت ما كان ينقلها به من خطوط ومستويات أفقية ورأسيه ، فتصبح فكرة مبهمة ، أو هدفا تائها وسط أشكال هندسية متباينة، بعضها فوق بعض ..

أهو أجتهد فني .. أو جنون ؟

♦ هل فهمت شيئا عن نظرية « بيكاسو » بعد ؟ .. لا داعي للانكار ، فكثيرون هم الذين لم يفهموها ، ولم يستسيغوها ، ولم يستطيعوا أن يخرجوا من اللوحات التي طبقها عليها بشيء ! ولكن « بيكاسو » يدافع عن النظرية بقوله : « انها لا تختلف في شيء عن أية مدرسة أخرى للرسم ، فان المبادئ والعناصر واحدة في الجميع . واذا كانت نظرية المكعبات قد ظلت طويلا مستعصية على الفهم - حتى انه لا يزال ثمة اناس لا يستطيعون فهمها الى اليوم - فليست لذلك أية قيمة .. انني لا أقرأ اللغة الانجليزية ، ومن ثم فان أي كتاب بهذه اللغة يعتبر طلسمها غامضا لا معنى له في

نظري .. وهكذا الشأن فى نظرية المكعبات ، وكل ما هنالك
هو اننا حرصنا على أن تظل أعيننا مفتوحة - وكذلك
عقولنا - على كل ما يحيط بنا .

ولم يكد «بيكاسو» يختتم العقد الثانى من عمره ، حتى كان قد
حير ناقديه وجعل آراءهم تتضارب بشأنه وشأن نظريته !
على انه لم يقتصر على نظرية المكعبات ، بل مضى فى تجارب
تبدو أكثر مغالاة وتمردا على الأساليب التقليدية فى الفن .
فعمد فترة من الزمن الى المصبقات ، فكان يلصق أشكالا
مادية على سطوح رسومه ، ويرسم ويوزع الالوان فوقها
وحولها ، وكأنما هو يبغي أن يثبت أن من الممكن استخلاص
الجمال من أبسط المواد العادية . وعلى هذا راح يلصق على
رسومه قصاصات من ورق الصحف ، وقطعا من الخيط ،
ونتفا من القماش ، وأشكالا من الرمل والزجاج والخشب ،
وورقة مهزقة من « نوتة » موسيقية ، وقطعة من الفحم
النباتى .. بل انه راح ينثر - الى جانب ذلك - بقعا من الحبر
والزيت ! .. ونظريته فى ذلك انه يمزج واقعية المادة العادية،
بغرابة ما لا يمت الى الواقع - او اللاواقعية - فينتج من
ذلك شذوذا - خياليا - عن المؤلف العادى فى الواقع المادى !

يتخلد ابنه فى صورة مهرج !

♦ وكما قلنا فى فقرة سابقة ، لم يعرف عن رسام أنه
بدل خطه وأساليبه فى الرسم كما فعل بيكاسو . فبعد
عشر سنوات من الاغراق فى أساليبه الهندسية - بين
المكعبات ، والمثلثات ، والمنشورات ، وانصاف الدوائر ! -

٤٨ « بيكاسو » . . أسطورة القرن العشرين
ارتد ، وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ، الى رسم صور



((ابن الفنان))
ابن « بيكاسو » كما رسمه والده في لوحة خلد بها
ابنه ، وخلد نفسه !

طبيعية واقعية لاصدقائه وزملائه . وبدأ فترة جديدة من حياته الفنية ، عرفت بـ « المرحلة الكلاسيكية » ، امتدت الى ان سافر الى (روما) ، حيث وضع تصميمات الستار والمناظر والملابس لباليه استعراضى روسى . . .

وهناك ، طابت له صحبة افراد الفرقة الراقصة الروسية ، فكان يحضر معهم فترات المرات والتدريب ، فى سرداب روماني عتيق ، ويتمشى معهم تحت ضوء القمر ، ويصحبهم فى جولاتهم لمشاهدة معالم ايطاليا .

وانتهى به الامر الى ان تزوج راقصة فى الفرقة تدعى « أولجا كوكلوفافا » وأنجب منها ابنا سماه « بول » ، خلده فى لوحتين رائعتين ، رسم احدهما والطفل فى الثالثة من عمره - وقد اظهره فى شكل مهرج - بينما رسم الثانية بعد عام ، واظهره فيها فى شكل ماجن وقح !

عودته الى الاتجاه الكلاسيكى ، والانسانى .

♦ **فهل تراه عرف الاستقرار بعد ان أصبح زوجا وأبا ؟**
لا ، فقد كانت نزعته الفنية المتمردة على المألوف ، اقوى من ان يكبحها ، فظل يأبى ان يتقيد بأسلوب معين ، ولم يكف عن استخدام الاشكال المجردة المبهمة ، والمكعبات . . . وما ان بلغ نهاية العقد الثالث من عمره ، حتى بدأ « المرحلة الكلاسيكية الجديدة » ، وكان قد استقر به المقام فى (الريفيرا) الفرنسية . . . فأقبل على رسم الزهور والفاكهة فى اوضاع غريبة ، واخذ يرسم الاجساد فيسبغ عليها نضارة والتفافا مغريين ، وكأنه لم ير فى حياته مكعبا من المكعبات

٥٠ « بيكاسو » .. أسطورة القرن العشرين

التي كان يرسمها قبل سنوات !

وردته نهاية الحرب العالمية الاولى - بما خلفته من بؤس وقلقلة في المجتمع الانساني - الى أساويه القديم المتناسق النسب ، والى الالهة -م الذي لازمه - في بداية حياته - بالانسانية .. وكانت بعض اللوحات التي انتجها في تلك الفترة تتسم بالرقه واللف العاطفى ، مثل « ذات الرداء الابيض » .. بينما كان بعضها يتسم بالصلاية والجمود والسكون ، فهى تمثل الشكل وليس ما وراء الشكل ، وهى اقرب الى تطبيق القواعد الماثورة عنها الى التمشى مع احياءات اية تجربة ملهمة .. فكانها كانت تماثيل قدت من صخر ، وليست رسوما جرت بها ريشة !

فى مهمة الحرب الاسبانية

♦ وتحويل « بيكاسو » خلال الاثنى عشر عاما التالية الى اتجاهات جديدة .. فراح يصنع أشكالا من الاسلاك ، والحديد المطاوع ، والخشب .. وأخذ يكتب أشعارا « سريالية » - أى فوق الواقع - وعكف على النحت فأخذ يصنع تماثيل ذات رؤوس هائلة ، وحيوانات مشوهة الاشكال بدرجة عجيبة .. وغرق فى فيض من الاشكال المجردة ، غير المحددة المعالم بخطوط واضحة ..

وكانت كل هذه الاتجاهات خليفة بأن تشى باضطراب نفسى عميق ، عنيف ، متمرد . حتى اذا قامت الحرب الاهلية فى اسبانيا - وهو فى أواسط العقد السادس من عمره - اذا به يخف الى وطنه ، وينحاز الى صفوف الموالين للنظام الذى كان

قائما . . ومع انه كان قد أصبح فرنسيا أكثر منه أسبانيا - لطول مقامه فى فرنسا - وبالرغم من انه لم يحفل يوما بالسياسة ، الا أن محنة بلاده ودته أسبانيا متعلقا بوطنه ، مجاهدا فى سبيله . . وما لبث أن أصبح من غلاة المجاهدين فى صفوف الحكومة الجمهورية - التى قامت فى أعقاب نزول الملك الفونسو عن العرش - ضد جبروت العصابات الثورية التى كان « فرانكو » يقودها ، والتى امعنت فى البطش والظلم . وخلال تلك المحنة الوطنية اظهر « بيكاسو » انه كان من ابرع من حذقوا أساليب الدعاية ، كما كان ذا دور رئيسى فى العمل على انقاذ الكنوز الفنية التى كانت بالمتاحف الاسبانية .

اللوحة التى هاجم بها وحشية الحروب . .

• وفى معمعة الحرب ، بدأ يتجه بالفن اتجاها جديدا - بالنسبة اليه ، على الاقل - فراح يقول : « ان الرسم لم يخلق لكى يزين الدور والجدران ، وانما هو أداة من أدوات الحرب ، تصلح للهجوم على العدو ، وللدفاع ضده . . وضد الوحشية ، والظلام » . وعندما اخذت الطائرات النازية تعاون القوات الفاشية ، واغارت يوما على بلدة (جويرنيكا) الواقعة فى اقليم (الباسك) - فمحتها بالقنابل ، بدأ « بيكاسو » لوحة تعتبر من أكثر رسومه تعبيرا . . **فعلى لوحة هائلة - مساحتها ثلاثمائة قدم مربعة - راح يرسم الاحتجاج الصارخ على القسوة الوحشية التى تتسم بها الحروب جميعا ، على السواء .**

وكان يقول وهو عاكف على الرسم : « ان الصراع الاسباني

جهاد ضد كل عدوان على الناس ، وعلى الحرية . . ان حياتي بأسرها - كفنان - لم تكن سوى جهاد مستمر ضد الرجعية ، وضد موت الفن ! »

وتجلت غضبته ضد الوحشية والحرب ، في صور بلدة (جويرنيكا) ، التي كانت أقرب الى الرموز منها الى اية اشكال طبيعية . فقد صدمت لوحته أشكالا لوحوش جبارة ، وأجساد بشرية مهشمة ، وثيران مشوهة ، وجياد مذعورة . وقد رسمت كلها باللونين الرمادي والاسود ، الى جانب الابيض . . ولم يكن كل منها - في حد ذاته - يعبر عن شيء واضح ، ولكنها - في مجموعها - تعبر عن الفظاعة والهول . حتى لقد وصفها النقاد - عندما عرضت في سوق باريس الدولية ، في سنة ١٩٣٧ - بأنها تجمع بين جميع الاتجاهات والمدارس الفنية والنفسية التي تأثر بها الرسام في ماضيه . وقال الشاعر الانجليزي هربرت ريد عنها ، انها « نصب تذكاري لخيبة الرجاء ، والقنوط ، والدمار . . وان الرموز التي رسمها بيكاسو لاشبهه بالشخصيات الرمزية التي خلقها هوميروس ، ودانتى ، وسيرفانتس ! »

« الانف » . . في مكان « الاذن » !

♦ ولقد أثارت هذه اللوحة العملاقة ضجة وتضاربا في الآراء ، ولكن أغلبية النقاد العالميين أجمعوا على تمجيدها ، وقالوا - دفاعا عنها - انها أشبه بقصيدة ربما كتبت بلغة معقدة لا يتسنى للرجل العادي فهمها لأول مرة ، ولكن الصرخة التي تنطلق بها توحى بالهول والدمار، مما يحمله على أن يعاود

قراءتها ، ويتعمق معانيها ، فسرعان ما يفهمها على حقيقتها !
 واتسمت لوحات بيكاسو - بعد سنة ١٩٣٧ - بهم ،
 وأسى ، وبلبله يائسة ، وأشكال شيطانية مروعة ، ومناظر
 مشوهة مرعبة ، وكأنما كان الرسام يعاني أزمة نفسية
 فظيعة ، من جراء ما رآه من بطش بنى البشر بعضهم ببعض ،
 ومن اتجاه العالم نحو الخراب . ولم تعد لوحاته تعنى بالشكل
 الظاهري ، وكأنما كان « بيكاسو » يحاول أن ينفذ الى ما وراء
 الوجه ، ليرسم ما في العقل من بشاعة وحب للتخريب . .
 وكثيرا ما كان - في سبيل إبراز هذه الفكرة - يعث بمواقع
 قسمت الوجه ، كأن يمزج الوجه الكامل ، بالوجه كما يبين
 من الجانب - (البروفيل) - أو يضع أنفا ضخما في مكان
 الاذن ! . . الخ . . ولكن الجمع بين مظهرى الوجه في وضعين
 مختلفين ، كان يرمى الى غرض معين . فقد كان بيكاسو
 يرجو أن يعبر عن الشخص الحى ، المتحرك ، فلا يرسم الشكل
 جامدا ، ساكنا . . وأن يوحى بهذه الحركة الحية عن طريق
 معالم الوجه وقسماته ، وعن طريق الجمع بين عدد من نواحي
 الحركة ومظاهرها في وقت واحد . فكأن المنظر الذى يرسمه أشبه
 بذاك الذى تلم به العين عندما تلم بالشئ من عدة جوانب ،
 وتغوص في أعماقه فتستشف حقيقته . . في آن واحد !

حبية تصفره باثنين وأربعين عاما !

• وكان بيكاسو في (باريس) عندما قامت الحرب العالمية
 الثانية ، واحتل النازيون العاصمة الباريسية . . ومع انه كان
 يعرف أن النازيين قضوا على فنه بأنه « انحلال » ، وكانوا



« رأس فتاة »

لوحة من رسوم « بيكاسو » تعبر عن أحد مذاهبه التعبيرية التي ابتكرها في فنه ..

ناقمين عليه - بحيث كانت حياته مهددة - الا انه أبى أن ينصت الى نصيح المشفقين عليه ، وتشبث بالبقاء فى المدينة . . فظل بها طيلة فترة الاحتلال النازى ، رافضا كل تعامل أو تعاون مع الاعداء . . بل انه ذهب فى الجراءة والتحدى الى درجة انه راح يوزع نسخا مطبوعة من لوحته ((جويرنيكا)) التى سجل فيها احتجاجه على وحشية الطائرات النازية ! وبعد تحرر فرنسا ، رزق « بيكاسو » بولدين من امرأة كانت أصغر منه سنا باثنين وأربعين عاما ! . . وبرز باريس اذ ذاك فقط - بعد أن جلا عنها الغزاة - فنزح الى (فالورى) ، فى (الريفيرا) الفرنسية .

ومرة أخرى ، تعرض فنه لتطور جديد ، فاذا رسومه والوانه تنم عن عاطفة جديدة ، وعن شعور بالارتياح ، بل عن قلب خلا من الشجن والهموم !

الفن فى صناعة الخزف !

♦ وظلت ملكة الابتكار تحفزه وتدفعه ، فاذا به يسعى الى ادخال تجديدات على فن الطباعة على الحجر ، كما راح يجدد فى صناعة الخزف والرسم عليه ، معالجا فى ذلك الطين الذى يصنع منه الخزف ، والالوان المستعملة لصباغته . وأجاد فى تشكيل الطين وفى اختيار الاصباغ ، وفى عمل أوعية وأباريق وأصص وصحاف من الخزف ، متعددة الاشكال . . فمن الاباريق ما صنعه على شكل طائر ، ومن « الفاسات » ما صنعه على شكل امرأة ! . . وهكذا .

واذ بلغ « بيكاسو » السبعين من عمره ، لم تفارقه هواية

الابتكار والتجديد . والذي يرى لوحة « منظر للبحر الابيض المتوسط » - التى رسمها فى سنة ١٩٥٢ - لا يتمالك ان يلمس انه كان اكثر جرأة فى اختيار الالوان والاشكال والتركيبات فيها ، منه فى أية لوحة أخرى .. وقد نظم فى سنة ١٩٥٣ معرضا فى متحف الفن الحديث بروما ، فاذا بين المعروضات خمسون لوحة لم يشهدها أحد من قبل . وقد ملأت لوحاته أربع عشرة غرفة فى دار المتحف !

ويرى كثير من ناقدى « بيكاسو » أن تقلبه المستمر بين الاساليب ، دليل على افتقاده الغاية الجدية ، وان انصرافه الى الاهتمام بالاسلوب قد جعل لوحاته تفقد المعنى .. حتى لقد قال الناقد توماس كرافن : « انه لا يهتم بالحياة ، وانما كل اهتمامه مركز فى الفن .. فى التركيب الآلى للصور .. وان فنه ليعتبر كاملا خالصا ، لانه خالص فعلا من الشعور الانسانى بالرضى والقناعة .. وهو « كلاسيك » ، لانه ميت ، لا حياة فيه !

دفاع عن فنه ..

♦ على أن بيكاسو لم يحاول قط أن يرد على ناقيه ، وان اظهر فى بعض الكتابات القليلة التى خطها بقلمه ، وفيما كتبه عن لوحة « جويرنيكا » - بوجه خاص - أن الفنانين الذين يعيشون على قيم روحية ، لا يملكون أن يتجاهلوا مظاهر الصراع التى تدور حولهم ، والحروب التى تتعرض فيها اسمى قيم الانسانية والحضارة للخطر .

وهو يرى أن الشكل الذى يظهر به الفنان خواطره ، ذو وظيفة أعمق مما يخطر بالبال . فالفن عامل يسعى الى اقرار

التوازن والتناسق بين مشاعر الفنان وانفعالاته العاطفية ..
 « ولو أن الموضوعات التى أردت أن أعبر عنها برسمى ،
 تراءت لى على أشكال تخالف ما رسمتها عليه ، لما ترددت فى
 اتباع تلك الاشكال .. ذلك لاننى ما وجدت بنفسى شيئا أحب
 أن أقوله ، الا قلته بالشكل الذى شعرت أن لا بد من أن يقال
 به . والبواعث المتباينة تحتاج - بطبيعتها - الى أساليب
 متباينة فى التعبير . ولكن تباين الأساليب لا يعنى تطورا أو
 تقدما ، وانما هو تهيئة للفكرة التى يريد المرء أن يعبر عنها ،
 وهو وسيلة لهذا التعبير .. »

أى هؤلاء ((بيكاسو)) ؟

• ولكن هذا لم يقنع النقاد ، ولم يمنعهم عن المضى فى
 التضارب فى آرائهم عنه .. فمنهم من يراه نبيا من أنبياء
 الرسم ، يحاول التعبير عما فى أعماق النفس وأغوار الفكر ..
 ومنهم من يراه جامحا ، مشتطا ، متقلبا ، لا يستطيع أن
 يستقر على أسلوب ، وهو فى عنايته بالأسلوب الذى يظهر به
 فكرته ، يضيع هذه الفكرة ويفقد معناها ! .. ومنهم من
 يقول انه يعمد الى الغرابة والشذوذ فى أساليبه ، ليستثير
 الاهتمام ويستلقت الانظار .. ومنهم من يقول انه انما يعمل من
 اجل الفن ، غير حافل بقواعد ولا تقاليد ، ولا برأى الناس فيه !
 على أن الكل أجمعوا على انه لغز .. وعلى انه من أغرب
 مبتدعى الصور وأكثرهم بعدا عن المؤلف .. فى تاريخ الفن كله !
 فإى هؤلاء بيكاسو .. فى رابك ؟

دكتور وليم محارب

جراح الاسنان

نقل عيادته الثانية من ٣ كامل صدقي بالفجالة الى
عمارة رمسيس الجديدة (ملك شركة مصر للتأمين) باب
الحديد . تليفون ٤٤١٢٨

عيادة هليوبوليس كما هي بمكانها (٨ عثمان بن عفان
تليفون ٦٠٧٦٤)

المواعيد : هليوبوليس : ١٠ - ١٢ ، ٣٠٥ - ٧
باب الحديد : ٣٠١٢ - ٢ ، ٣٠٧ - ٩

بنك مصر

دفع بنك مصر منذ نشأته على مسيرة النضال التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبثقت
الثورة وانبثقت نواير الشعلة القدية تجاوزت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر
ومع الأهداف العليا التي رمى اليها في حرب الاستعمار الاقتصادي فأنشأت شركة التي
كانت هيئتها مهابت بما الاستفاد من الاجتهاد في شتى ألوانه والرو الضيل في مختلف صوره

الشركة القومية للإضاءة والإلكترونيات

١٣٣ شارع محمد بك فرزند

تلفون ٤٤٧٩٢ - ٤٣٨١٦



لافتات
فخرفنة
انكارة
كهتريساء

ENSEIGNES
DECORATION
ECLAIRAGE
ELECTRICITE



И к вам пишу -
чего же боль?
Что я могу
еще сказать?

يوجين أوجين

من روائع المسرح الفناحي

للشاعر الروسي الأشهر

الكسندر پوشكين



عرض وتلخيص : المحرر

هذه المأساة ..

عزيزى القارىء ..

♦ فى الفصل التاسع من ملحمة « دكتور جيفاجو » ،
التي قدمت لك ترجمتها الكاملة فى مجلدين مزدوجين - خارج
السلسلة - من « مطبوعات كتابى » ، أشار « باسترناك »
الى مأساة « يوجين أونيجن » فى ثلاثة مواضع متلاحقة ، ضمن
يوميات بطل الملحمة « يورى جيفاجو » .. ففى صفحة ٤٣٤
(من المجلد الثانى) كتب فى يومياته : « وهكذا قرأنا مرارا
وتكرارا كتب « الحرب والسلام » لتولستوى ، و « يوجين
أونيجن » ، وغيرها من روائع بوشكين .. »
وفى صفحة ٤٣٦ ، كتب مرة أخرى : « .. سنظل نعاود
قراءة « يوجين أونيجن » الى ما لا نهاية .. »
وفى صفحة ٤٤٣ ، كتب مرة ثالثة : « ان الفصل السابع
من « يوجين أونيجن » يصف بيت « أونيجن » وقد بدا
موحشا لغيابه ، وقبر « لينسكى » على ضفة الغدير ، عند
اسفل التل ، والبلبل - عاشق الربيع - يغنى طيلة الليل ..
والوردة البرية تتفتح .. الخ »
فها هى هذه التراجيديا الخالدة لبوشكين ، التي أشاد
بها « باسترناك » فى ثلاث اشارات متتالية من « دكتور
جيفاجو » ، والتي اقتبست منها أوبرا غنائية تمثل على
مسارح العالم منذ عشرات السنين ؟
اليك قصتها ، أخصها لك فيما يلى :

— ١ —

♦ تبدأ القصة فاذا نحن فى احدى أمسيات الخريف
الداقئة ، ذات عام فى أوائل القرن الماضى ، وقد جلست
« مدام لارينا » - وهى امرأة غنية من صاحبات الاراضى فى
روسيا القديمة - فى حديقة منزلها الريفى الجميل ، منهمكة

في تقشير بعض الفاكهة .. ومن نوافذ البيت المفتوحة صافحت سمعها أنغام أغنية عذبة تغنيها ابنتاها الجميلتان « أولجا » و « تاتيانا » .. فامتلاً قلب الأم وهي تصفى اليهما بالذكريات الحلوة لأيام شبابها الباكر ، حين كانت تتغنى مثلهما بنفس هذه الأغنية !

واقبل رهط من القرويين المرحين يحملون حزم الحنطة ويقدمونها الى مدام لارينا ، فقد كان اليوم آخر أيام الحصاد ، ومن ثم جاءوا يضعون تحيتهم التقليدية تحت قدمي ربة الضيعة المحبوبة .. فاستقبلتهم هي بالترحيب والعطف الكريم ، ودعتهم كي يغنوا ويرقصوا أمامها ، ويتناولوا من المشروبات المنعشة التي أمرت بأن تعد لهم .. فانخرط الشبان والفتيات في رقصة ريفية فوق أرض الحديقة وراحوا يغنون أغنية الحصاد المرحية ، رغم التعب الذي كانوا يعانونه بعد مجهود العمل طيلة اليوم .. فلم تبك الفتاتان أولجا وتاتيانا تسمعانهن حتى خرجتا الى الحديقة ووقفتا بجوار أمهما ترقبان الرقص والضحك والصخب بشغف ملحوظ .. وكانت الفتاتان رغم جمال كليهما تختلفان الواحدة عن الأخرى أكبر الاختلاف : فالكبرى - أولجا - مريحة طائشة تحب اللهو والصخب .. والثانية - تاتيانا - حاملة ، ولهي ، منظوية على نفسها ، لاتأبه كثيراً للهو الشباب المألوف ، بل تفضل عليه أن تقرأ كتاباً في عزلتها .. أو تحلم في يقظتها !

وحين فرغ القرويون من رقصتهم ، اصطفوا من جديد تأهباً للانصراف من حضرة سيدتهم المضيافة .. وبعد لحظات من انصرافهم ، وقفت أمام الباب عربة فاخرة مبط

٦٢ « يوجين أونيجن » : للأديب الروسي « بوشكين »

منها شابان من نبلاء المنطقة المجاورة ، أحدهما « فلاديمير لينسكى » خطيب أولجا ، والآخر صديقه « يوجين أونيجن » ، الذى كان ما يزال مجهولا من جانب مدام لاريتا وابنتيها ، رغم امتلاكه أرضا فى نفس المنطقة . .

ولم تكد تاتيانا الخجول الحية تلمح الشاب الغريب حتى تحركت تريد الانسحاب من المكان ، لولا ان امها احتجزتها . . وبعد برهة أقبل لينسكى يحيى النساء الثلاث ويقدم لهن صديقه . وكان أونيجن شابا أنيقا ذا شخصية جذابة وخبرة بالحياة ، فلم تكد تاتيانا ترمقه بنظراتها المختلسة ، فى خجل ، حتى جذبها مظهره ، فأحست أنه الصورة الحية لفتى أحلامها ! . . وشعر أونيجن بدوره بميل نحو الفتاة الهادئة المنطوية التى تلائم مزاجه أكثر من أختها الضاحكة الصاخبة . . وهكذا لم تمض برهة حتى اشتبك الاثنان فى الحديث ، ثم انصرفا عن المكان ليقوما بجولة فى أرجاء الحديقة . . تاركين لينسكى وخطيبته يشيدان قصور الأمانى العذبة فى خلوة كاملة . . وحين ارتفع صوت الام تنادى الفريقين الى داخل البيت لتناول العشاء ، لى الخطيبان دعوتها أولا ، ثم مرقت تاتيانا وأونيجن من ظلام الحديقة فى أعقابهما وهما منهكان فى الحديث ما يزالان . . وكانت تاتيانا - برغم خجلها الفطرى - قد وجدت متعة فى رفقة يوجين ، الذى فتنها بشخصيته الى أقصى حد ، وان كان حديثه قد أظهره فى صورة الساخر الذى مل الحياة وكفر بأخلاق البشر . .

وهكذا رقص قلب تاتيانا بين ضلوعها منتشيا بشمل غريب لا يقاوم ، وازدادت عاطفتها المتأججة حدة وعنفا كلما

تقدم المساء ، فلما أوت الى مخدعها آخر الامر كان انفعالها اشد واقوى من ان تستطيع قمعه ! .. واحست مربيتها العجوز « فيليبينا » بما يعتمل فى أعماق العذراء الغريرة ، فحاولت ان تهدىء من انفعالها جهد طاقتها ، لكن مهمتها كانت أعسر مما حسبت .. بل لقد أصرت الفتاة على أن تروى لها فيليبينا تجاربها الغرامية الخاصة ، وأبت ان تحول افكارها عن هذا الموضوع الشائق ! .. ورغم ذلك فعند ما رضخت المريية العجوز لالاحاح تاتيانا، لم تصغ هذه الى قصتها الا لحظات ، ثم شردت فى وديانها الخاصة وراء عواطفها المتضاربة ، حتى فرغت فيليبينا من روايتها فطلبت اليها الفتاة ان تحضر لها أدوات الكتابة ثم تتركها لشأنها ! ..

وفعلت المريية ماطلبته منها تاتيانا ، ثم طبعت على جبينها فى حنان قبلة المساء وغادرت الغرفة ، وهى تأمل أن يقوى النعاس والاحلام على اعادة الفتاة الغريرة الى هدوئها المألوف فى الصباح ..

لكن النعاس كان أبعد الامور عن ذهن تاتيانا المبلبل .. فانها حين عجزت عن قمع عاطفتها المضطربة ، اعتزمت ان تكتب خطابا الى يوجين أونيجن ، تبوح له فيه بحبها العميق الذى باتت تكنه له .. وتسأله ان يمنحها الفرصة كى تلقاه على انفراد فى الارض المجاورة فى اليوم التالى ! .. وقد ظلت المسكينة وقتا طويلا - اثناء كتابة الخطاب - نهبا للافكار المتضاربة والصراع العنيف العقيم ، بين حياء العذراء واجفالها الفطرى ، وبين حبها الوليد وشوقها القوى الى أن

٦٤ « يوجين أونيجن » : للأديب الروسي « بوشكين »

يبادلها الشاب اياه ! .. لكن عاطفتها تغلبت في النهاية على شتى مشاعرها الاخرى ، فتناولت القلم وشرعت تكتب .. ولكنها - حتى بعد أن قر قرارها على المصارحة - لم تلبث ان تبينت ان صياغة أفكارها المحمومة على الورق ليست بالمهمة السهلة ، وانما هي مهمة عسيرة جدا .. فمزقت أكثر من ورقة وبذلت أكثر من محاولة ، حتى تم لها ما أرادت .. والليل يزحف على مهل ، وتاتيانا غير ملقية بالا الى انصرام ساعاته .. حتى بدت في الافق تباشر الفجر ، وعندئذ فقط تشبهت الحاملة ، فختمت الخطاب أخيرا ، ووضعت يدها مرتجفة في ظرف معد لارساله ..

وكان الخطاب صورة دقيقة لنزعة الفتاة الفطرية ، ينضح كل سطر منه بالسذاجة العذبة التي أوحى بكتابته .. بل كأن بمثابة تدفق غير متكلف لطبيعة كريمة سمحة .. اما عمق وعنف العاطفة التي وشى بها فقد كان برهانا على قيمة الهبة التي تجود بها صاحبتها : القلب النقي لعذراء !

وعندما أقبلت فيلبينا لتوقظ الفتاة في البكور ، وجدت ما تزال جالسة الى النافذة المفتوحة .. وتوسلت اليها تاتيانا ان تتكفل بإيصال الخطاب الى يوجين دون ابطاء .. فترددت المربية في البداية ، وعنفتها على قضائها الليل بأكمله ساهرة على هذا النحو ، لكنها حين أدركت ان الصبية ما تزال تعاني انفعال الامس ، لم تجد بدا من أن تجاريها .. فأخذت الخطاب وأعدت بتسليمه الى صاحبه فورا .. لكن تاتيانا حين انفردت بنفسها دفنت وجهها بين راحتيها

وقد أدركها شيء من الشعور بالندم على إرسال الخطاب ،
والتساؤل عما إذا كان يوجين سوف يمنحها اللقاء الذي
طلبتة ؟ .. فإذا هي تارة تأمل أن يقبل دعوتها الحارة ،
وتارة تصلى من أجل رفضها !

— ٢ —

• وتقدم النهار .. واقترب الموعد الذي ضربته ليوجين
.. فحزمت شجاعتها واتجهت الى مكان اللقاء .. يتناهب
قلبها الشك والشوق ، وترتعد أوصالها رعبا من نتيجة
المقابلة ، وخوفا من أن يقابل حبها بالسخرية والصد ..
وان ملأ قلبها في الوقت ذاته خوف مماثل خجول من أن
يقابل حبها بالوصال !
.. فلما أقبل أونيغن في الموعد المرتقب ، تبخرت شجاعة
الفتاة الضئيلة المدخرة ، في مثل طرفة العين .. وتركتها
ترتعش في حضرة الرجل الذي أحبته بكل ذلك العنف ،
بحيث لو لم يطلب إليها في لهجته الآمرة أن تبقى ، لكانت
قنعت من الغنيمة بالفرار !

.. واقترب الشاب من الفتاة المنفعلة ، قائلا انه قد
استلم رسالتها ، وقراها بامعان .. وما دامت قد اختارت
أن تكون صريحة معه ، فليكن هو بدوره صريحا معها ..
ثم مضى في حديثه فاعترف لها - في نبرات خالية من
الحرارة ، وإن خالطها الاسف - بأنه قد خبر الحياة حتى
ملها ، فلم يعد في حال تسمح له بأن يتقبل منها هذا الحب
النقي الناشئ الذي تعرضه عليه .. فضلا عن انه ليس

بالشخص الذى يستحق مثل
هذه الهبة الكريمة ، ولا هو
بالذى يملك أن يقدم اليها مقابلا
لهذه الهبة أو بدلا !

أنصتت تاتيانا وهى ترتجف
الى هذه العبارات الباردة
الصريحة ، فأحست كأن كل
عبارة منها هى طعنة تسدد
الى قلبها . . . وتملكها شعور
قوى بالعار والخجل ، سحقها
سحقا !

أما أونيجن ، فرغم اسفه من
أجل الألم الذى جرعه الفتاة
كأسه المريرة ، والخيبة التى
أصاب بها قلبها الحالم . . فقد
رجاها فى لهجة أكثر تأنيبا من
ذى قبل ، أن تقمع مشاعرها
وتكون أكثر تحفظا فى المستقبل ،
خشية أن تجود بعاطفتها
على رجل يكون أقل منه
التزاما لحكم ضميره ، فيقابل
اندفاعها باستهتار ، وعدم
مبالاة !

ثم تناول يوجين يد الفتاة ،
وقادها فى رفق وملاطفة الى
بيتها !



« .. أنصتت تاتيانا وهى
ترتجف الى هذه العبارات .. »

— ٣ —

♦ وانقضت أسابيع ..

و ذات مساء اقامت مدام لارينا سهرة راقصة احتفالا بعيد ميلاد تاتيانا «الثامن عشر» .. وكان بين من دعته «لينسكى» وصديقه يوجين أونيجن . ورغم روعة الحفلة وتعدد وسائل اللهو فيها ، وازدحامها بصفوة منتقاة من علية القوم فقد ضاق يوجين صدرا بها ، وان قضى اكثر وقته خلالها بصحبة تاتيانا ، التى كانت طبيعتها الحاملة ما تزال تستميله اليها .. اما الفتاة فقد ظلت طيلة الوقت صامتة ، تخفى قلقها المكتوم ، حتى تبين هو حيرتها وخرج موقفها ، فتركها لافكارها ! لكن شعوره بالمضايقة تزايد ، الى حد احنقه على صديقه لينسكى الذى اغراه بحضور الحفلة .. فلما سنحت له فرصة لشفاء غليله من صاحبه سارع بانتهازها ... فقدم خطبة لينسكى الحسناء الضاحكة « اولجا » بالقرب منه ، فدعاها لمراقصته عدة رقصات متتالية ، ومن بينها رقصة نصف الليل التى كانت قد وعدت بها خطيبها ! وصادفت الدعوة هوى من نفس المعابثة الجريئة بطبعها ، فقبلتها مرحبة .. الامر الذى ملأ قلب خطيبها استياء وغيرة ، سيما وانه كان يخصها بحبه النارى الذى لا يقبل ان يقاسمه اياه اى شريك !

وهكذا جعل لينسكى يرقب - واجما - خطيبته وصديقه وهما يروغان بين الكتل المتراصة من أجسام الراقصين ، بل ويلحظ بغضب متزايد تلك النظرات المأكرة التى جعلت اولجا

٦٨ « يوجين أونيجن » : للأديب الروسى « بوشكين »

ترمق بها مراقصها الوسيم وهى تعابثه .. فلما انتهت الرقصة عجز عن مغالبة شعور الحقد الذى اشتعل فى قلبه ، فاتهم صديقه يوجين أمام المأ بأنه يحاول أن يسلبه حب خطيبته .. ثم تحداه علانية أن يبارزه فى اليوم التالى !

وقد حاول أونيجن فى البداية أن يحمل الامر على محمل المزاح ، مؤكدا انه لم يفكر البتة فى الاعتداء على كرامة صديقه أو شرفه .. اما اولجا ، التى ذعرت وأدركها الندم على تصرفها المستهتر الذى يوشك أن يؤدى الى اخطر النتائج ، فقد توسلت الى خطيبها بدورها أن يهدىء من تأثيرته ويعتبر الامر كأن لم يكن ..

لكن غيرة لينسكى الحمقاء لا تخضع لحكم العقل ، فيتمادى فى صب جام غضبه واهاناته على أونيجن .. الى الحد الذى يخرج هذا عن طوره ويفقده السيطرة على نفسه فيعلن غاضبا أنه قبل التحدى والمبارزة !

وامام هذه النتيجة التعسة ، يستولى على المدعوين الانزعاج والذعر ، فيشرعون فى الانصراف جماعات .. وهكذا ينفض المرقص الذى بدا بهيجا ، فى جو من الاضطراب والكآبة .. وفى الصباح الباكر من اليوم التالى يلتقى لينسكى ويوجين مع شهودهما فى بقعة منعزلة من المنطقة .. وهناك تتم المبارزة ، بعد اتخاذ اجراءات الفروسية التقليدية ، وقد أحس كلا الصديقين بالاسف على مصير الصداقة الطويلة السعيدة التى ختمت على هذا النحو الرهيب .. بل ود كلاهما لو نطق بالعبارة التى ترضى كرامة صديقه وتفض

النزاع .. لكن الكبرياء أخرس لسانيهما ... فلما أعطيت الإشارة ، رفع كلاهما غدارته .. وأطلق النار بغير إبطاء !
وفي اللحظة التالية سقط لينسكى على الأرض بلا حراك ، فلما جرى نحوه يوجين - الذى لم يمس بسوء - مع أتباعه وشهوده ، ورفع رأس صديقه بين ذراعيه ، تبين والفزع يقبض قلبه ، ان الشاب ذا الطبع النارى قد .. مات !

ملاً الأسى قلبه ، وفاض .. واستبد به الندم والحزن وتبكيت الضمير .. وتحت ضغط القلق النفسى ، والتعاسة المدمرة ، غادر اونيغن الاقليم فوراً .. وعاش يتخبط ويتنقل من قطر الى قطر ، بضع سنوات ، دون أن يستقر له قرار فى أى منها ، محاولاً أن يفرق فى التجوال همه المقيم ، وذكرياته التى تملأ رأسه وتطارده كالاشباح ..

— ٤ —

• ولكن لا تغير الجو والمكان ، ولا المفامرات الفاجرة المتنوعة ، تفلح فى إعادة السكينة والراحة الى قلب يوجين ! .. وأخيراً ، وتحت تأثير الشوق الذى لا يقاوم الى العودة مرة أخرى الى مسرح المأساة ، يشد التعس رحاله الى وطنه .. فلا يبلغ العاصمة « سانت بطرسبرج » حتى يتقاطر عليه أصدقاءه القدامى ويقنعوه بالبقاء بين ظهرانيهم بضعة أسابيع .. ثم يتلقى دعوة الى مرقص فاخر يقيمه نبيل رفيع المقام يدعى الأمير « جريمين » ، فيقبلها تحت ضغط أصدقائه واغرائهم ..
.. وفى مساء يوم الحفلة يمضى اليها ، غير ملهوف ..

٧٠ « يوجين اونيغن » : للأديب الروسى « بوشكين »

وفعلا يعجز جوها المرح الصاحب عن ادخال السرور والبهجة الى قلبه الممزق الكليل ..

وفيما هو يطوف بغرف القصر حائرا ، قلقا ، لا تفتأ ذكرى المبارزة المشؤومة تعاوده بكل دقائقها ، وتلح على خاطره .. وأفكاره المبللة تنحى عليه باللائمة ، وتطارده بالاتهام فى عنف وحدة ..

ثم يلحظ حركة غير عادية بين المدعوين ، وغمغمة وهمسات تفيض بالاعجاب .. فيوجه بصره الى حيث اتجهت ابصارهم ، واذا هى مركزة على حسناء رائعة ترتدى ثوبا فاخرا وتتحلى بثروة من الجواهر الثمينة الباهرة ، تمرق بين حلقات الضيوف فى خفة وجلال ، وتوزع ابتساماتها وتحياتها الوقورة عليهم برشاقة أخاذة ..

ولا يحتاج اونيغن الى أكثر من نظرة ثانية افاحصة ، كي يتبين فى الحسناء ربة الدار .. عذراء الماضى الحالمة ((تاتيانا)) !
لكن تاتيانا قد تغيرت .. لم تعد صبية حاملة ، سابحة فى خيالها ، وانما صارت امرأة ناضجة ، تفيض الفتنة من موطىء قدميها ، وتبدو كالملكة بين هذا الحشد من الحسان والغيد .. نعم ، انها تاتيانا بعينها .. أخذت من بيتها الريفى الهادى الى حيث أصبحت الزوجة المحبوبة للامير « جريمين » الذى يوليها ، رغم فارق السن الكبير بينهما ، حبا يقرب من العبادة .. ولا يدخر وسعا فى سبيل اسعادها وجعل حياتها فى كنفه موفورة الهناء والرفاهية ..

أما هى ، فبرغم عجزها عن أن تمنحه حبا وقلبا ،



صارت له مثال الزوجة
المخلصة التي تكرس حياتها
لراحته .. بل أخذت على
عاتقها عبء مسئوليات مركزها
الاجتماعي الجديد ، بكفاءة
ووقار يتزايدان كل يوم !

.. ويرمق أونيجن تاتيانا
بنظرة أخرى ، فيحس نحوها
بميل مضاعف ، بعد أن نضج
جمالها واكتملت لجسمها وعقلها
اسباب الفتنة والجاذبية ..
فينبض لها قلبه فجأة باحساس
جديد غريب ، لعله النشوة ..
او لعله الشهوة ! .. ويتملكه
- وهو الذي حسب عهده
بالانفعالات العاطفية قد انتهت -
فرح دافق يضاعف من سرعة
نبضات قلبه ، ويتخطف كيانه
كتيار كهربائي مباغت !

ويتزايد انفعاله حين يقبل
عليه الامير « جريمين » فيقدم
له زوجته الحسنة الرائعة في
زهو واعتزاز .. ورغم ان

« .. ويرمق أونيجن تاتيانا
بنظرة أخرى ، فيحس نحوها
بميل مضاعف .. »

تأتيانا تلقاه بفتور وهدوء ، أقرب الى البرود ، دون أن تكلف نفسها مشقة اخفاء صلة الجوار القديمة بينهما فان سمة العاطفة المكبوتة التي تبدو في عينيها العميقتين الرقيقتين تشي في وضوح بأن حبها له لم ينطفئ ، وانما هو جذوة كامنة تحت رماد السنين لا ينقصها غير الانفاس الحارة ، لكي تشعلها من جديد . . بل لعل هذا الحب القديم قد عمقت جذوره في نفسها بعد نضوج أنوثتها !

وفيما هي تتعد عنه ، متعلقة بذراع زوجها ، يحس أونيجن بقبضة الغيرة الحادة القوية تعصر قلبه بشدة ، ربما لأول مرة في حياته ! . . ويتبين انه يحب هذه المرأة بكل طاقة وجدانه ! ويعجز يوجين عن كظم عاطفته المتأججة العاتية ، فيعزم ان يبوح لتأتيانا بحبه ، بأى ثمن ! . . وهكذا يمضى فربض في ركن قصي ، في انتظار مرورها . . فلا تكاد تمر به حتى يبرز لها من مكنه والانفعال يهز كيانه كله ، ويصارعها بعاطفته الجارفة ، مناشدا اياها ان تبادله اياها فيستردا سعادتهما التي فرط فيها بغائه في الماضي !

اما هي فتنتهز الفرصة كي تذكره في مرارة بما صدر منه ، وكيف صد حبها القديم ناظرا الى الامر كنزوة طارئة من صبية حاملة ، بل وعمد الى تأنيبها بشدة على اندفاعها وراء عواطفها بدون روية . .

وتطعن عباراتها فؤاد يوجين ، فيجثو على ركبتيه ويتوسل اليها بانفعال متزايد ان تغفر له ما بدر منه ، وتمنحه حبها الذي يتوق الان اليه اكثر من أية أمنية اخرى في حياته !

وامام حرارة توسلاته ودموعه ، وعنف انفعاله ، تعجز المرأة عن الصمود . . . وعن مواصلة التظاهر بالفتور نحوه . . . فتعترف له في انفعال مماثل بأن حبها له لم يزل كالعهد به قويا جارفا ، وتهازل قلبها فرحة محمومة لمجرد التفكير في أن حبها المرفوض قد بلغ غايته أخيرا ، وصار متبادلا ! ويناشدها يوجين في حمى نشوتهما الدافقة أن تفر معه ، كي يبدأ حياتهما السعيدة المشتركة في كنف حبهما العظيم الذي لم يعد يجدى انكاره أو تجاهله . . . لكن جرأة الفكرة ترد للمرأة صوابها الذي زلزلته المفاجأة ، فتنهى الى يوجين عزمها على البقاء وفية لزوجها ، مهما كلفها رفض توسلات حبيبها من ألم مرير !

ورغم ذلك لا يقنط يوجين ، فيواصل ابتهاله الحار الى حبيبته أن تطيع نداء قلبها الشاب . . . لكن تاتيانا تصمد - وإن يكن بصعوبة - للاغراء الذي يكلفها أكثر من طاقتها على الاحتمال ، فترفض في حزم ما يعرضه عليها أونيجن ! . . . وخوفا من أن يخور عزمها لو طال بقاؤها معه ، تعتمد الى التخلص من قبضته وتهرع مبتعدة عنه ، بعد أن ترمقه بنظرة وداع أخيرة . . . تمزقها الحسرات !

وعندئذ . . . وقد ملأ اليأس قلب أونيجن ، وإيقن أن السعادة التي طالما اشتاق اليها قد حرمت عليه الى الابد . . . يخرج مسدسه من جيبه ويسدده الى صدره ! وفي اللحظة التالية يسمع دوى رصاصة ، ويخر يوجين على الارض . . . فاقد الحياة !

عزيزى القارىء

فى هذا الباب الذى نتناول فيه بالعرض بين الحين والآخر كتابا من الانتاج « العربى » الحديث ، قدمت لك فى اعداد سابقة :

أبو نواس : العقاد

الهوى والشباب : بشارة الخورى
هنا أو الطوفان : خالد محمد خالد

هؤلاء علمونى : سلامة موسى
حوار العباقرة : محمد بدیع الشریف

محمد عبده : عثمان أمين
شهداء فى قبرص : ابراهيم موسى

سيكولوجية الضمير : محمد كامل النحاس

واليوم أقدم لك فى هذا الباب كتابا حديثا صدر أخيرا فى موضوع قل أن تناوله الكتاب أو المترجمون فى بلادنا العربية ، وهو « فن كتابة المسرحية » الذى تقرأه فى الصفحات التالية .

نحن فى
ركب الأدب



ظهر
فى المكتبة
العربية



عرض وتلخيص : فرج جبران

هذا الكتاب ..

خبر ما كتب في موضوعه .. منذ أرسطو !

• من العجيب أن رأى المؤلف فى كتابه « فن كتابة المسرحية » (١) قد اتفق مع رأى المترجم ، فقد وصف المؤلف « لاجوس اجرى » - المجرى الاصل - كتابه بأنه خير ما كتب عن الموضوع فى أمريكا . ولكن المترجم ، « درينى خشية » ، زاد على ذلك فقال أن هذا الكتاب هو خير الكتب فى موضوعه منذ أرسطو الى اليوم !

ويقول مؤلف الكتاب فى مقدمته أنه لم يكتب كتابه للمنشئين ومؤلفى المسرحيات فقط ، ولكنه كتبه لعامة القراء كذلك حتى اذا عرفوا الاداة الكتابية وما ينطوى عليه أى عمل أدبى من جهد مرهق ، وما يتجشمه الاديب من متاعب مضمنية ، أصبح تقديرهم للآثار الادبية وتذوقهم لها تقديراً تلقائياً ، اقرب الى الطبع ، لا أثر للكلفة فيه .

ويضيف المؤلف أنه قصد بكتابه عرض طريقة جديدة من طرق الكتابة الادبية بوجه عام ، وكتابة المسرحية بوجه خاص . ومع مباهاة المؤلف بكتابه فهو يقول فى أحد المواضع انه لا يخطر بباله ابدا ان هذا الكتاب قد جاء بالكلمة الاخيرة فى كتابة المسرحية ، اذ العكس هو الصحيح ، وان الانسان حينما يقوم بشق طريق جديد قد يقع فى أخطاء كثيرة ، وانه سيأتى من بعده من يستقصون البحث أكثر منه ، ويتقدمون بمحاولة من محاولات الفن الكتابى الى صورة أكثر نضوجاً وأتم تبلوراً .

(١) صدر هذا الكتاب حديثاً فى ٥٥٤ صفحة من القطع الكبير ، عن « مكتبة الانجلو المصرية » ، بالاشتراك مع « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة »

المقدمة المنطقية

♦ ان لكل شىء فكرة او مقدمة صفرى كما يقولون فى علم المنطق ، وكل ثانية من الثوانى التى تتألف منها حياتنا لها مقدمتها الخاصة بها ، سواء شعرنا نحن بذلك او لم نشعر به ، فى الوقت الذى يحدث فيه ذلك . وقد تكون هذه المقدمة بسيطة باللغة البساطة - كالتنفس مثلا - وقد تكون شيئا معقدا بالغ التعقيد - كقرار عاطفى حيوى له خطره على حياة الانسان - غير انها مقدمة وكفى ..

ومقدمة كل ثانية من الثوانى الستين التى تتألف منها الدقيقة تعاون المقدمة الكبرى التى للدقيقة نفسها . كما ان مقدمة الدقيقة تعاون مقدمة الساعة .. ومقدمة الساعة تعاون مقدمة اليوم كله ، وهكذا . وعلى هذا النحو يكون لكل حياة تتألف من تلك الثوانى ، والدقائق ، والساعات ، والايام ، مقدمة منطقية .. اعنى فكرة اساسية تهدف اليها وتتوخاها ..

والشائع عند جميع الكتاب والمؤلفين ان كل مسرحية ينبغى ان تكون لها مقدمة منطقية ، او فكرة اساسية .. ولاثبات ذلك ، نستعرض فيما يلى عددا من المسرحيات ، لنستخلص منها فكرتها الاساسية :

روميو وجوليت

♦ تبدأ هذه التمثيلية بصورة من صور الخصومة الشديدة بين أسرتين ، هما آل كايوليت وآل مونتاجو .. ونعرف أن روميو ينتسب الى آل مونتاجو ، فى حين تنتسب جوليت الى أسرة كايوليت . ويحب كل من روميو وجوليت صاحبه حبا شديدا ، ينسيهما العداوة التقليدية بين أسرتيهما . ويحاول آل كايوليت اجبار جوليت على الزواج من كونت

بارى ، لكنها تأبى أن يتم هذا الزواج . . . وتذهب الى قس صالح من أصدقائها تلتمس عنده النصيح ، فيشير عليها بأن تتناول جرعة من مخدر قوى فى الامسية التى يريد أهلها فيها ابرام عقد زواجها ، ومن شأن تلك الجرعة أن تجعلها تبدو وكأنها ميتة ، وذلك لمدة اثنتين وأربعين ساعة ، تعود بعدها الى يقظتها الطبيعية !

وتخضع جوليت لما يشير به القس ، ويحسبها كل من يراها بعد تناول المخدر أنها قد لقيت حتفها . وتكون هذه هى بداية المأساة المتلاحقة الحوادث : اذ يعتقد روميو أن جوليت قد ماتت حقيقة، فيتجرع السم ويموت الى جانبها ، وحينما تستيقظ جوليت وتجدده ميتا ، لا تتردد فى مشاركته هذا المصير هى ايضا !

وهذه المسرحية ، وان كانت تعالج موضوع الحب ، الا ان هذا الحب هو بلا شك حب عظيم . وآية ذلك أن هذين الحبيبين لم يقتصرا على تحديهما تلك الخصومة التقليدية بين أسرتيهما ، بل هما قد ضحيا بروحيهما ليلتقيا بين ذراعى الموت . . . وعلى هذا فالمقدمة المنطقية ، أو فكرة الرواية الاساسية ، هى : **((ان الحب العظيم يتحدى كل شيء ، حتى الموت نفسه !))**

الملك لير

• **لقد** أساء الملك اساءة فظيعة محزنة حين حصر ثقته فى ابنتيه جونوريل وريجان ، فلقد جردتاه من كل سلطاته والحقتا به الهوان ، مما جعله يتجرع غصص الموت وهو مجنون مذهب بعقله ، فمات عجوزا محقرا مهيبض الجناح . ومن ذلك يتضح أن المقدمة المنطقية لمأساة الملك لير أو فكرتها الاساسية هى : **((ان الثقة العمياء تؤدى بصاحبها الى الدمار !))**

ماكث

♦ **يقرر** ماكث وزوجته
ليدى ماكث - فى سبيل
تحقيق أطماعهما - قتل الملك
دنكان . فيستأجر ماكث
بعض القتلة للقضاء على بانكو
الذى يرهبه ، وذلك توطيئاً
لمركزه . ثم يضطر بعد ذلك
الى ارتكاب الكثير من جرائم
القتل لى يحوط نفسه بسيج
من الامن والطمأنينة فى المركز
الذى وصل اليه بطريق الغدر
والقتل . وينتهى الامر بتنبيه
الاشراف والرعايا أنفسهم الى
جرائمه وثورتهم ضده ثم
القضاء عليه بالسيف والقتل ،
تماماً كما وصل بهما الى
العرش . أما ليدى ماكث
فيقضى عليها الخوف المخامر
الذى لازمها فلم يرحمها ..
فما هى القوة الدافعة فى

هذه الرواية ؟

لا جدال فى انها الطمع ، و اى
نوع من الطمع ؟ انه الطمع الذى
لا يرق ولا يرجم ، بدليل ما
سال على جوانبه من الدماء ..



ومن ثم يرى المؤلف ان الفكرة الاساسية في ماكتب هي :
((ان الطمع الذي لا يعرف الرحمة ينتهى بالقضاء على صاحبه !))

ولم يعتمد المؤلف فيما ضرب من امثال على مسرحيات شكسبير وحدها ولكنه اشار الى مسرحيات أخرى ، مثل :
 « الاشباح » لابسن ، و « الطريق المسدود » لكنجسلى ،
 و « الظل والمادة » لفنسنت كارول . الخ . . وهو ينصح
 كل من يريد ان يؤلف مسرحية فيقول له :
 « ولهذا فلا بد لك من فكرة أساسية ، وهذه الفكرة
 الاساسية هي التى تتولى هدايتك الى الهدف المنشود الذى
 تريد الوصول اليه فى مسرحيتك »

ولكنه يستطرد فيقول ان هذا ليس معناه ان الكاتب
 لا يستطيع الشروع فى كتابة مسرحية مالم تكن لديه فكرة
 أساسية ، فان هناك طرقا شتى للوصول الى فكرة أساسية .
 فاذا لاحظت مثلا عددا كبيرا من الامور الشاذة الغريبة فى
 عمك او فى عمك ، فانك قد تشعر بأن فيهما مادة دسمة
 لمسرحية . الا ان الراجح انك لا تفكر فى المقدمة المنطقية او
 فكرة روايتك الاساسية فى الحال . ان العم والعمة شخصيتان
 مشيرتان ، فلماذا لاتدرس سلوكهما وتراقب كل خطوة من
 خطواتهما ؟ انك ان فعلت فستنتهى الى أن العمة ، وان كانت
 امرأة مستمسكة بأهداب دينها ، الا أنها سيدة فضولية ،
 مفرمة باشاعة الشائعات والتدخل فى شؤون الغير ، ولعلك
 تعرف أزواجا كثيرين انفصل بعضهما عن بعض بسبب فضول
 العمة وتدخلها بينهما !

ولما كنت معتزما أن تكتب عنها مسرحية ، لان شخصيتها
 تغريك بالكتابة ، فلا بد أن تحاول اكتشاف كل ما يمكنك
 اكتشافه عن أنباء ماضيها وحاضرها . وفى اللحظة التى تبدأ

فيها رحلتك هذه الى اكتشاف حقائق حياة تلك المرأة ،
تكون قد خطوت الخطوة الاولى فى سبيل الوصول الى فكرتك
الاساسية ، سواء شعرت بذلك أم لم تشعر !
والمؤلف يوصى بالآ يتخذ الكاتب المسرحى لمسرحيته
فكرتين أساسيتين ، وآلا تعرض للفشل الذريع ، وأربك
نفسه وأربك المخرج والممثلين والمتفرجين جميعا معه !

الشخصية المسرحية

• ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن الشخصية المسرحية او
الروائية ، وهى فى نظره أهم شىء فى الرواية التمثيلية ، بل
وأهم من عقدة الرواية ، وهو بذلك يخالف أرسطو ويخالف
معظم الذين كتبوا عن أصول التأليف المسرحى . وهو يثبت
ان الشخصية مصدر كل شىء فى المسرحية . والشخصية
عنده تتكون من مقومات ثلاثة اولها : **الكيان الجسمانى** -
ويقوم على الجنس الذى تنتسب اليه الشخصية ، ثم السن ،
والطول ، والوزن ، ولون الشعر ، ولون العينين ، والجلد ،
والقامة ، والمظهر ، والاناقة ، والصحة ، وصنوف الشذوذ ،
والوراثة ، وما الى ذلك مما يتصل بحالة الانسان .. الخ
أما الكيان الثانى للشخصية فهو الكيان الاجتماعى ، ويقوم
على الطبقة الاجتماعية ، ونوع العمل ، والتعليم ، والحياة
المنزلية ، والدين ، والهيئة الاجتماعية التى تعيش فيها
الشخصية ، والنشاط السياسى الذى تمارسه ، واللوان
التسلية والهوايات والقراءات والعادات والاخوان .. الخ
والكيان الاخير للشخصية هو **الكيان النفسى** ، وهو عند
المؤلف ثمرة الكيانين الاخيرين ، فأثرهما المشترك هو الذى
يحيى فينا المطامع ، ويسبب هزيمتنا ، وخيبة آمالنا ، ويكون
أمزجتنا وميولنا ومركبات النقص فينا . ومن هنا كانت
النفسية جزءا متما للكيان الاجتماعى والانسانى .

ومن هنا يحتم « ايجرى » - المؤلف - على الكاتب المسرحى أن يدرس شخصيات مسرحيته دراسة تشبه المعاشرة ، وأن يرسمها رسماً يشمل هذه الأبعاد الثلاثة ، داخل الخطوط العريضة التى حدد بها الفكرة الأساسية التى وضعها لمسرحيته .

وبالاحظ أن مسرحيات شكسبير العظيمة كلها مبنية على شخصياتها . ومن أهم هذه المسرحيات التى تقوم على الشخصية : ماكبت ، والملك لير ، وعطيل . وبالمثل مسرحيات ايسن كلها ، بل كذلك أيضاً مسرحيات الصابرة من كتاب المسرح اليونانى ، فهى تدور حول الشخصية ، وتتبع منها بكل ما فيها من أحداث . ومن أمثال ذلك : اوديب والكثيرا وانتيجونى وميديا .

والمؤلف يوصى الكاتب المسرحى بضرورة الاستمرار فى تنمية شخصياته المسرحية وعدم الوقوف بها عند نقطة معينة . لان هذا الوقوف عن النمو ضد طبائع الاشياء ، وكل شخصية لابد لها أن تتطور من شىء الى شىء آخر . .

وعلى هذا ، كما يقول المؤلف ، فان أية شخصية - فى أية صورة من الصور الأدبية - لا ينتابها تغيير أساسى فى ذاتها ، هى شخصية رسمت رسماً رديئاً . بل ان الشخصية اذا لم يمكن أن تتغير فان أى موقف يضعها فيه الكاتب يكون موقفاً غير حقيقى ولا واقعى . وهو يضرب الامثلة الرائعة من المسرحيات الخالدة على صحة مايقول ، دون أن يتقيد بالقديم او الجديد .

ويقول « ايجرى » انه عندما يوفق المؤلف المسرحى الى مقدمته المنطقية الواضحة المعالم فانه يكون من أهون الاشياء عليه ان يجد صاحب الشخصية الذى يحمل عنه عبء تلك الشخصية .

وحيثما يتخير كاتب المسرحية لنفسه فكرة أساسية تدور حول « ان الحب العظيم يتحدى كل شيء حتى الموت » - وهي مقدمة روميو وجولييت - فان المؤلف بطبيعة الامر سيفكر في شخصية محب وحبيبته لديهما من الجرأة ما يتحديان به التقاليد ، واعتراضات الآباء ، بل والموت نفسه !

البطل الاول في المسرحية

• والشخصية المحورية أو الشخصية الرئيسية هي البطل الاول في المسرحية ، ويجب بالضرورة أن تكون شخصية عدائية - خصيمة - لا تعرف المساومة أو انصاف الحلول بل لا يستشعر قلبها رحمة . كما ان الشخصية المحورية قوة دافعة مسيرة ، لا لان صاحبها قرر ان يكون كذلك ، بل لسبب بسيط جدا هو ان هناك حاجة أو ضرورة ظاهرة أو خافية تجبره على الفعل وتضطره اليه ، اذ ان هناك شيئا يهمه اكبر الاهمية معرض للخطر : كالشرف ، أو الصحة ، أو المال ، أو دفع الاذى ، أو الانتقام ، أو عاطفة سامية .. الخ

وهناك أيضا شخصية المعارض للشخصية المحورية أو خصمها ، وهو ذلك الشخص الذي يكبح جماح البطل المهاجم . وهذا الخصم في أية تمثيلية يجب ان يكون بالضرورة شخصا قويا لا يلين ، ولا تعرف الرحمة سبيلا الى قلبه ، كالشخصية المحورية تماما ، واذا كان الخصم لا يستطيع ، لسبب من الاسباب ، اثارة نضال طويل الامل ، فيجب عليك اذا كنت كاتب مسرحيا ان تبحث عن شخصية اخرى يكون في امكانها القيام بذلك .

وحيثما تفرغ لاختيار شخصيات مسرحيتك ، فاحرص على أن تنسق ذلك تنسيقا حسنا ، وعلى أن تحسن توزيع الأدوار عليهم ، وهذا هو ما يسمى بالتخطيط أو التوزيع •

فانك اذا جعلت شخصياتك كلها من نمط واحد - كان اختارتهم جميعا من المشاغبين - كنت كمن كون فرقة موسيقية اقتصر فيها على عازفي الطبول فقط !

أقسام الصراع

♦ وبعد الشخصية ينتقل «ايجرى» الى الصراع فيقسمه الى اربعة اقسام رئيسية هي :
الصراع الساكن ، والصراع الواثق ، والصراع الصاعد المتدرج في بطن ، والصراع المرهق أو الدال ، من طرف خفي ، على ما ينتظر حدوثه .

وضرب المؤلف مثلا لطيفا للصراع الساكن هو مثل الشاب الذي يفتح دولاب ملابسه ليتخير بذلة لائقة يقابل بها ، لأول مرة ، حبيبته . . فلا يجد في الدولاب كله بذلة لائقة لهذه المقابلة ، فينتابه اليأس ويعدل عن هذه المقابلة لان حالته المالية والتزاماته المتعددة لا تساعد على شراء بذلة جديدة . وهذا



الشباب كلما فكر في حالته هذه شعر باليأس وخيبة الرجاء
لانه يفكر باستمرار في حبيبته وفيما قد تظن فيه ، ويتبع
هذا أن يهمل الشاب عمله اهمالا شديدا حتى يضيق اصحاب
العمل بحالته ، وينتهى الامر بطرده فيبدأ في البحث عن عمل
آخر !

وهذا هو الصراع الساكن الذي يمكن تتبعه في البيئة وفي
الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد .

اما **الصراع الواثق** ، كما يعرفه ايجرى ، فانه يحدث
للشباب الذي اذا رأى بذلته وقد أصبحت كالحة لا تليق بأن
يقابل بها حبيبته ، ولم يجد لديه بذلة اخرى مناسبة يرتديها
عند الذهاب اليها ، قرر أن يسطو على أحد المصارف أو
المنازل أو يعتدى على احد المارة لكي يحصل على المال الذي
يريده لشراء بذلة جديدة !

ولكن مثل هذا الصراع لا يحسن على الإطلاق أن يقع على
خشبة المسرح ، لان النظارة في المسرح انما يرغبون في مشاهدته
السياق الطبيعي للشخصية وتطورها ، خطوة بعد اخرى .

والصراع الصحيح يتكون في ظاهره من قوتين متعارضتين ،
وفي باطنه يكون كل من هاتين القوتين نتيجة لظروف معقدة
متشابكة في تسلسل زمني متتابع ، بحيث يبلغ التوتر غايته
من الرعب والشدة حتى لا يكون ثمة بد من أن ينتهى بالانفجار .
ويضرب ايجرى مثلا للصراع الساكن ، بهذا الحوار :

هو : هل تحبيننى ؟

هى : أوه ... لست أدري !

هو : هل تستطيعين أن تفكرى في ذلك ؟

هى : سأفكر !

هو : متى ؟

هى : أوه ... حالا !

هو : حالا ... متى ؟

هي : أوه ... لست أدري !

هو : هل أساعدك في ذلك ؟

هي : هذا قد لا يكون ظريفاً ... اليس كذلك ؟

هو : كل شيء ظريف في دولة الحب ، ولا سيما إذا استطعت

اقناعك بأننى الرجل الوحيد الذى تريدين !

هي : وكيف يمكنك أن تفعل ذلك ؟

هو : قبل كل شيء أقوم بتقبيلك !

هي : اننى لن أمكنك من ذلك حتى تتم خطبتنا !

وهكذا تستطيع المضي في هذا الحديث الى ما لا نهاية !

أما الصراع الواثق في مثل هذه الحالة فانه يكون كالآتى :

هو : هل تحبيننى ؟

هي : أوه ... لست أدري !

هو : لا تكونى بلهاء ... فكرى من فضلك !

هي : ذكى أنت ... يا ملعون ! هيء !

هو : ولكنى لست على شيء من الذكاء اذا أمكن أن اقع في

هوى امرأة مثلك !

هي : اذهب .. والا (لخبطت) لك وجهك !

♦ ولا بد للكاتب المسرحى أن يعيد النظر في فكرته

الاساسية كلما تلكأ الصراع أو مشى مترنحا ، أو توقف أو

صعد وثبا ... فاذا وجد الكاتب عوجا في المقدمة المنطقية

فعليه أن يقوم به . والشخصية المحورية هي المسئولة عن النمو

في أثناء الصراع ، ويجب أن تكون شخصية لا تتخاذل ولا تلين

ولا تساووم أو ترضى أنصاف الحلول .

وهكذا يبدو جليا أن الصراع الصاعد يتطلب فكرة أساسية

واضحة ، بارزة المعالم ، ووحدة اضداد وشخصيات توافرت

لها الأبعاد أو المقومات الثلاثة : الجسمانية والنفسية والاجتماعية .

الحوار

♦ ويتحدث ايجري عن أهمية الحوار للمسرحية فينقل عن بحث قدمته له إحدى تلميذاته في المدرسة التي يقوم فيها بتعليم فن الكتابة المسرحية ما يلي :

« أن الحوار في المسرحية هو الاداة الرئيسية التي يبرهن بها الكاتب على فكرته الأساسية ، ويكشف بها عن شخصياته ، ويمضي بها في الصراع . ومن الأهمية بمكان أن يكون حوار المسرحية حوارا جيدا ، بما أنه أوضح أجزاءها وأقربها إلى أفئدة الجمهور وأسماعهم .

الا ان الكاتب المسرحي اذا اعترف بأن المسرحية لا تكون شيئا اذا ساء حوارها ، يجب أن يعترف كذلك بأن الحوار الجيد شيء مستحيل ما لم يكن صادرا صدورا معبرا وصحيحا عن الشخصية التي تستعمله . وما لم يصلح للتعبير تعبيرا طبيعيا وبدون مشقة عما حدث للشخصيات من كل ما هو مهم لموضوع الرواية »

ومن أهم وظائف الحوار أن يشف عن الأحداث المقبلة . ففي مسرحية لجريمة يجب أن يشتمل الحوار على الباعث على الجريمة . وفي كثير من الأحيان على معلومات تحضيرية عما له صلة بالجريمة الفعلية .

وعلى هذا فالحوار ينمو من الشخصية ومن الصراع ، ثم هو بدوره يكشف لنا عن الشخصية ويحمل الفعل ، أعني يقوم بأداء الموضوع وشرحه . وهذه هي وظائفه الرئيسية ، لكنها وظائف لا تعدو أن تفتح موضوع المسرحية . وهناك أشياء كثيرة يجب أن يلم بها الكاتب حتى يحافظ على حوارهِ من التفاهة والسطحية .

فاقتصد في استعمال الكلمات . وتذكر أن الفن ميدان انتخابي يجب فيه التنخل والتدقيق ، وليس فيه مجال للنقل الفوتوغرافي . . بهذا تظفر وجهة نظرك بأكبر قسط من الاقتناع ما دامت غير مثقلة بما يطمسها من كثرة الكلام وطول الشرثرة . ان المسرحية الكثيرة اللغو الطافحة بالكلام ، تحمل الدليل على اضطراب تفكير كاتبها . وهو اضطراب ناشئ عن تفاهة الاعمال التمهيدية التي يجب ان تسبق كتابة المسرحية .

وعليك أن تضحي بزخرف الكلام واناقة في سبيل الشخصية اذا لزم الامر . . ولتتكلم شخصياتك بلغة البيئة التي تعيش فيها ، فاذا كان صاحب الشخصية ميكانيكيا فانه يتحدث بالاصطلاحات الميكانيكية ، واذا كان من العاملين في ميادين السباق فليستعمل المصطلحات الخاصة بالمراهنات

والخيل . ويجب الا تفرق في تصوير الاعمال المهنية والحرف المختلفة او تتوسع في ذلك توسعا ينتهي الى سخرية الجمهور بك ، ولكن لا تحاول ايضا الاستغناء عن ذلك تماما ، والا كان أي حوار تقوم به حوارا ضحلا ولا قيمة له . وخلط الحوار بشيء من التصوير المهني قد يستعمل بصورة ناجحة في الروايات الهزلية المأجنة . وكتاب الملاحى الوضيعة يلجأون الى اصطلاحات الطبقات الوضيعة « يزغزغون » بها جمهورهم . ولكن استعمال هذه المصطلحات في المسرحية الجدية عمل غير لائق .

وحذار من الحذقة . واياك أن تجعل روايتك منبرا للشرثرة (للرغى !) والشقشقة . ولتكن لك رسالة ما وسعك ذلك . ولكن اد رسالتك بطريقة طبيعية بارعة لا اثر للتحذلق فيها . ولا تسمح لبطلك الاول بتاتا بالخروج على شخصيته ، وذلك بأن تجعله يلقي خطبة .

وعليك فوق هذا ألا تغلو فى تأكيد الحوار والمبالغة فيه الى حد الحذقة ، وتذكر أنه الواسطة التى تحمل مسرحيتك الى الاسماع ، لكنه ليس هو المقصود بالذات ، ولا هو أعظم من كل ما فيها ، أنه يجب أن يناسب موضوعها فى غير شقشقة أو تنافر .

وبعد - فتلخيصا لهذا كله - نقول ان الحوار الجيد هو ثمرة للشخصية التى أحسن اختيارها وسمح لها بالنماء نماء منطقيا ، الى أن يكون الصراع الصاعد قد أقام الدليل على صحة الفكرة الاساسية .

لكى تكون كاتبا مسرحيا !

ويختتم المؤلف كتابه بقوله :

« لكى تكون كاتبا مسرحيا يجب أن تكون شخصا ذا خيال وادراك ، وذوق ، وتميز ، وقوة ملاحظة ، والا تكتفى قط بالمعلومات السطحية عما تكتب . ويجب أن تكون طويل الاناة واسع الصبر ، فى البحث عن الاسباب والدوافع . كما يجب أن تكون على قسط كبير من حسن التقدير والوزن للأمور وصحة التذوق . وينبغى أن تلم بعلوم الاقتصاد والنفس وأعضاء جسم الانسان والاجتماع »

ويقول المؤلف أيضا أن المرء ليتولاه العجب فى كثير من الاحيان مما يراه من اجترأ بعض الناس على أن يصبحوا كتابا أو مؤلفين مسرحيين ، كأنما التأليف المسرحى لعب فى لعب ! .. ويتساءل المؤلف : ان الشخص اذا أراد أن يتعلم صناعة الاحذية لم يستغرق فى تعلمها أقل من ثلاث سنوات ، فلماذا تكون الكتابة المسرحية ، وهى من أشق الصناعات ، هى الصناعة التى يحاول هؤلاء المجترئين أن يزاووها بين عشية أو ضحاها ، وبدون دراسة جدية أو المام باصولها وقواعدها ؟

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى الاعداد السابقة
من كتابى طائفة من القضايا
والمحاكمات الهامة ، هى على
التوالى : محاكمة ((جورجيت
هودو)) ملكة الجمال الباريسية
.. فمحاكمة السفاحين ((بيرك))
و ((هير)) .. ثم محاكمة
فيلسوف اليونان العظيم
((سقراط)) .. ومحاكمة ((آن
بولين)) ملكة انجلترا فى عهد
هنرى الثامن ، فمحاكمة
((دريفوس)) .. ومحاكمة
((ستافسكى)) .. ثم محاكمة
((مرجريت فهمى)) .. ومحاكمة
ملك انجلترا ((شارل الاول))
واعدامه .. ومحاكمة قاتل
راسبوتين .. ثم محاكمة ملك
فرنسا لويس السادس عشر ..
ومحاكمة قاتل عشيق زوجته
(من محاكمات أثينا القديمة)
و ((جريمة درب العشاق)) ..
و ((جريمة حارة التونى)) ..
ثم ((الغانية السمراء)) ، وهى
الحلقة الاولى من كتاب ((نساء
وماس فى ساحة العدالة)) .
وفى هذا العدد أقدم لك
الحلقة الثانية من هذا الكتاب

الجريمة .. والعقاب

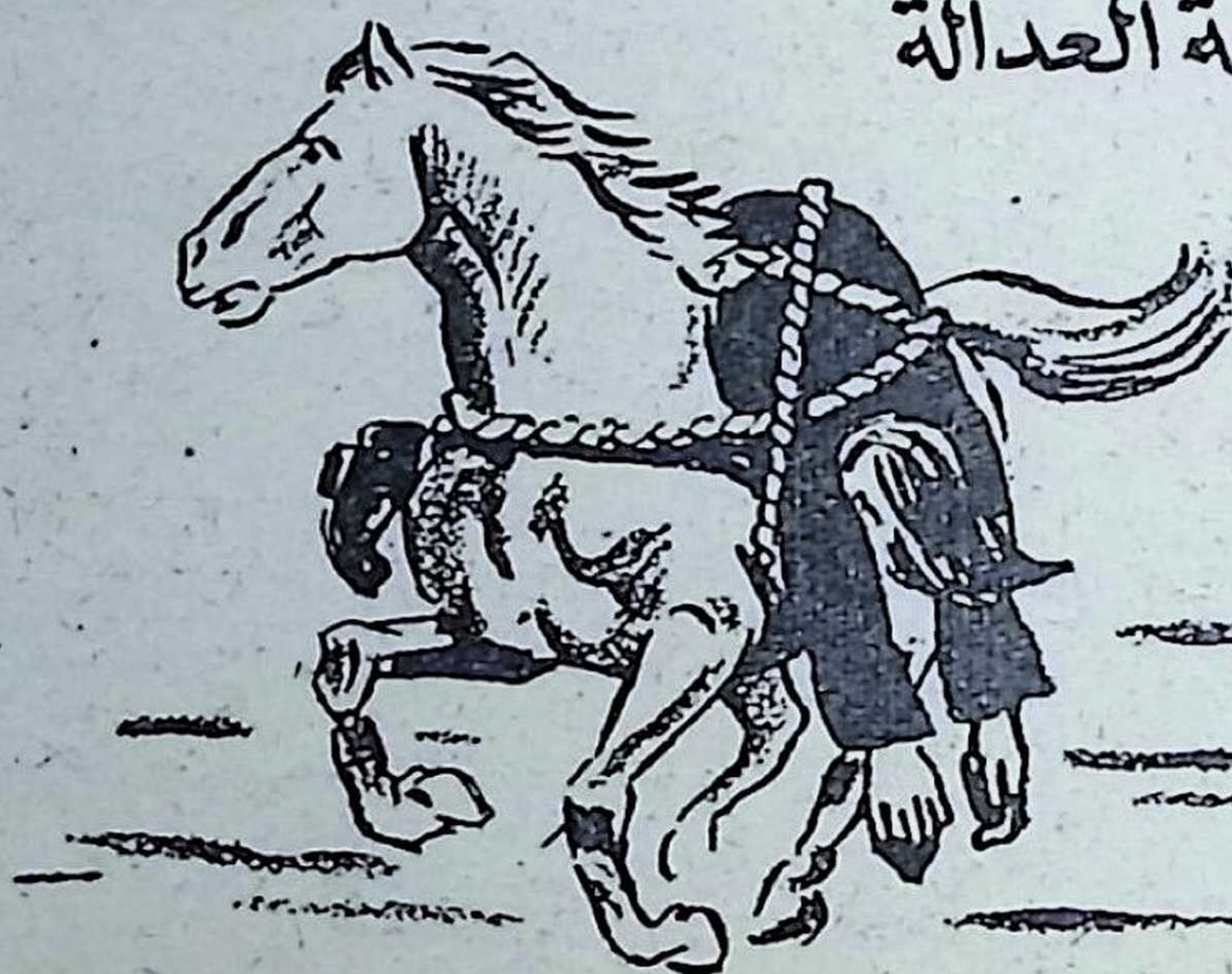


المحاكمات الكبرى فى الماضى والحاضر



البحث في امرأة!

نساء ومآسٍ
في مساحة العدالة



أغرب .. من « ألف ليلة وليلة » !

عزيزى القارئ ..

فى العدد الماضى رويت لك قصة لقائى مع هذا الكتاب الشائق ، فى قسم الكتب من محل (بون مارشيه) بمدينة بروكسل .. وكيف جذبنى - أول ما جذبنى - عنوانه الذى يمنى القارئ بجولة واسعة فى تاريخ الجريمة والعقاب أمام القضاء الفرنسى ، فى مختلف العصور .. سيما وان جميع المحاكمات التى تناولها الكتاب كانت عن جرائم ارتكبتها « نساء » ! .. وهكذا يتيح لنا الكتاب أن نرى كيف تستطيع « الأيدى الناعمة » أن تتحول أحيانا الى أيد « قاتلة » ، متوحشة ، مخضبة بالدماء ، بدلا من الحناء ! .. وأن نلمس الدوافع التى تجعل الحب - والحب الصادق ، المضحى ، فى كثير من الأحيان ! - قديرا على أن يقود ، من فرط عنفه ، الى الجريمة !

بل ان هذا الكتاب - الذى جمع مؤلفه مادته من سجلات المحاكم وأضابير المحققين - يرينا نماذج فريدة ، واقعية ، صارخة ، من ظواهر الحياة الحافلة بالمتناقضات .. يرينا كيف أن المرأة ، التى تكون أحيانا مصدر الحب ،

والحنان ، والتشجيع الذى يدفع الرجل الى قمة المجد ..
تكون فى أحيان أخرى مصدر شقاء الرجل ، وعذابه ..
بل مصدر الالهام الذى يدفعه الى الاجرام !
وقد قدمت لك فى العدد الماضى الحلقة الأولى ، أو
المأساة الأولى من المآسى الواقعية التى جمعها فيه مؤلفه
الباحث الفرنسى « روجيه ريچى » ، وكانت مأساة الغانية
السمراء « فيولانت » ذات العينين الساحرتين ، التى
عاشت فى مدينة (تولوز) فى القرن السابع عشر ، والتى
قادت الى الجريمة رجلين من خيرة رجال المدينة ، بل
شيخين من أكثر شخصياتها وقارا واثرا : أحدهما قاضى
محكمة المدينة الأستاذ « فرانسوا دى جاىرو » ، والثانى
عالم دينى و « دكتور فى اللاهوت » من أساتذة جامعة
تولوز ، هو « البروفيسور بيير آريا يردو » !
واليوم أقدم لك فيما يلى الحلقة الثانية من الكتاب ،
وهى تنطوى على مأساة أخرى تكاد من فرط غرابتها أن
تنقلب الى ملهاة مضحكة من أقاصيص « ألف ليلة وليلة » ،
لولا أن المؤلف قد استقاها من السجلات الرسمية لقضاء
مدينة (روان) الفرنسية ، فى القرن السابع عشر أيضا ..
فتعال نقرأ معا هذه القصة العجيبة من قصص الغرام
والاجرام :

الجثة الخائفة

هيلين .. حسناء (روان) !

• كل شيء جائز في الجريمة ، ولو كان يفوق الخيال ! ..

هذا ما تبينه أهالى مدينة (روان) ، الذين حدا بهم الفضول الى ان يتدققوا - رجالا ونساء - على قاعة محكمة الجنايات ، فى أحد أيام شهر أبريل سنة ١٦٢٨ ، ليشهدوا محاكمة السيد « أوجستان ميرى » وزوجته .

وما كان اهتمام القوم موجهها الى السيد « ميرى » بقدر ما كان موجهها الى زوجته . فقد كان هو رجلا ككل الرجال ، لا يكاد يميزه عن سواه شيء .. ولكن الفضول ، والاهتمام ، والسخط ، والاعجاب ، وطائفة من المشاعر المتضاربة المجتمعمة - فى آن واحد - أخذت توجه الانظار الى الزوجة الشابة التى جلست فى قفص الاتهام .. وكانت ذات جمال غير عادى ، تحمل اسم الفاتنة الاغريقية التى كانت سببا فى حرب طروادة : « هيلين » !

كانت هيلين حسناء (روان) فى العام الحادى والعشرين من عمرها ، ذات شعر أشقر مسترسل ، أحاط - كاطار من ذهب - بوجه ذى قسما دقيقة ، رشيقة ، متناسقة ، وعينين فى زرقة السماء الصافية ، تشعان ببريق يضى على الوجه براءة الطفولة الساذجة .. ترى كيف قدر لمثل هذا الجمال ان يزف - قبل سنوات ثلاث - الى زوج قمىء

الشكل ، ذى لحية غير مهذبة ؟ .. الواقع أن الامر لم يكن
لفزا عويصا . فلقد ولدت « هيلين » فى اسرة مدقعة الفقر ،
ونشأت فى أحضان البؤس والمسغبة . وكانت مشاهد العز
والرفاهية تثير فى نفسها طموحا طاغيا ، وتحملها على أن تحلم
بزوج ثرى يهيبء لها ما يحقق طموحها .. لذلك لم تتردد فى
قبول « ميرى » حين عرض عليها الزواج ، اذ كان يملك ثلاث
سفن يؤجرها للنقل ويستخدمها فى التجارة ، وقد جمع من
وراء ذلك ثروة كبيرة .. كبيرة فى نظر « هيلين » على الاقل !
وهكذا تزوجا ، وانتقلت العروس للاقامة فى دار زوجها
بشارع (دى هالاج) ، الذى يمتد بين نهر السين والكاتدرائية
الكبيرة . وبلغ من عرفانها بفضل « ميرى » انها لم تكن تدخر
وسعا فى سبيل اطلاعه على مدى تعلقها به ، وفى اصفاء كافة
الوان الرعاية والخدمة له ، وفى تهيئة أحلى المتع له ، حتى انه
أصبح يشعر كأن الشباب قد ارتد اليه ، وهو الذى كان قد
بلغ الخمسين من عمره .

المصائب لا تأتى فرادى !

♦ وسارت حياتهما هادئة ، ناعمة ، موفقة ، يحف بها
الحب والاخلاص ، وتشيع فى جوها الهناءة والسرور . الى أن
كان خريف سنة ١٦٢٦ ، واذا بسوء الحظ يوقع بميرى
ضربة قاصمة . فان السفن الثلاث التى كانت مصدر ثرائه ،
ضاعت تباعا .. اذ غرقت احداها لانها كانت جد عتيقة ..
وشب فى الثانية حريق ، فلم يتسن انقاذها .. وهاجمت

عاصفة السفينة الثالثة ، فلم يقع أحد لها على أثر بعد ذلك !
وكاد الرجل أن يجن اذ منى بهذا الخراب في فترة وجيزة ،
بعد أن كان قد اطمأن الى الحظ ، وارتاح الى الحياة . وزاد
من نكبته أنه فقد الشطر الأكبر من ثروته في الخلافات القضائية
التي ترتبت على مصائر السفن ، وعلى ضياع ما كانت تحمل
من بضائع كان بعضها ملكا للغير ، والبعض الآخر ملكا له ولكنه
لم يكن قد سدد ثمنه ، فتسابق أصحاب الديون الى محاولة
الحصول على ما لهم لديه قبل أن يصبح معدما !

وهكذا ألفى « ميرى » نفسه في الحضيض ، بين عشية
وضحاها ! .. شيء واحد ، بل شيئان بقيا له : البيت الذى
كان يقيم فيه ، ووفاء زوجته التى راحت تسرى عنه وتخفف
من أساه ، وتشحذ من عزيمته ، قائلة له : « لا تحزن ، فلن
يكون القدر بهذه القسوة الى الابد . والى أن يعاودنا السرور
ويواتينا الفرج ، اليك الحلى والمجوهرات التى كنت قد
أهديتها ، فان ثمنها يكفى لكى نواصل العيش فى وضع
كريم ! »

ولم يملك « ميرى » أن يرفض ما عرضته زوجته عليه ،
وهو فى أقصى حالات التأثر ، وقد ازداد إعجابا بها ، وتقديرا
لها ..

وسارت الاحوال على نحو محتمل ، فترة من الزمن .
وعمد الزوجان الى تسريح خدمهما ، والى الاقتصاد فى
نفقاتهما .. وأخذ « ميرى » يسعى هنا وهناك ، محاولا أن
يجد من أصدقائه القدامى عونا يمكنه من أن يعاود العمل

والتكسب ، ولكن أصدقاء الرخاء تنكروا له في الشدة ، فلم يوفق في مساعيه . . وراح المبلغ - الذي حصل عليه من بيع حلوى زوجته ومصوغاتها - يتسرب من بين أصابعه حتى اوشك أن ينفد . واشتد به الضيق ، فراح يقاوم جاهدا ، ولكن جميع السبل سدت في وجهه !

وأطبقت على « ميرى » أخيرا ظلمات اليأس ، فأخذ يتخبط في دياجيرها ، وعميت عليه الافكار المشرقة ، وأصبح يفكر على غير هدى . وذات مساء ، خطرت بباله فكرة حاول أن يطردها عن رأسه ، ولكن دون جدوى ، فلم يلبث أن قال لزوجته : « ان بوسعك أن تقدمي لى عوننا كبيرا في محنتنا هذه . . فكم بهر جمالك من أنظار ، وكم سبى من قلوب . وانى لاعرف كثيرا من علية القوم يتهنون أن ينزلوا عن الكثير في سبيل القرب منك ! »

وشهقت « هيلين » مأخوذة ، وقد صدمت بقوله ، فاسرع مستدركا : « لا تظنى اننى قد فقدت عقلى ، أو اننى أتهاون في شرفى وأفرط فيك . بل اننى أعتر بحبك ، واتشبث بوفائك . ولكن بوسعك - وانت ذكية اريية - ان تغرى اى رجل فتظهرى له من الود ما يجعله يمنى نفسه الامانى ، فيغدق عليك الهدايا ، ويتفانى فى ارضائك ، ثم لا يظفر فى النهاية بمأرب ! . . فاذا انت اتقنت هذا الدور ، سنحت الفرص لتحسين حالنا ! »

ولكن الزوجة الشابة استنكرت من زوجها هذا التفكير ، وحزنت أشد الحزن ، ورفضت أن تستمع الى مزيد . . حتى

إذا اشتد الضنك ، وخيم على البيت شبح المسغبة والجوع ، عاد الزوج يفري زوجته بخطته . . وفي هذه المرة أصغت له ، لكنها ظلت على رفضها . . فلم يلبث أن قال يائسا : « اذن ، فلم يبق أمامي سوى أن أضع حدا لحياتي التعسة هذه ، **موت !** » . . وفي غمرة القنوط ، أعد حبالا اعتزم أن يستخدمه في الانتحار .

وجزعت « هيلين » ايما جزع ، فهي لم تنس بعد ان « ميرى » قد انتشلها من وهدة الفقر ، واکرمها ، واغدق عليها الخيرات أيام الرخاء . . ثم انه - حتى في محنته - كان وقاء لها من كثير من الشرور والمكاره ، ولو غاب عن حياتها لهوت الى حضيض التشرد في الطرقات والتسول ! . . ومن ثم لم تلبث أن سلمت بأن خطته شر ليس منه بد ، وبلاء مؤقت ، ريثما تتحسن أحوالهما . وهكذا قبلت أن تقوم بالدور على مضض ، ممنية نفسها بأن لها من قوة اعتصامها بالشرف ما يجنبها الزلل . . ومن ثم أخذت يستعرضان أسماء « الضحايا » الذين يحتمل أن يفيدا منهم !

وفجأة ، دق « ميرى » جبينه براحة يده ، وهتف وقد أبرق في ذهنه خاطر : « لماذا نذهب بعيدا ، ولدينا رجل سلس القياد ، في البيت الملاصق لبيتنا ؟ . . اجل ، لماذا لا نبدا المحاولة بالاستاذ جريزيو ؟ »

وكان « ليونار جريزيو » محاميا ناجحا ، ورث عن أبويه ثروة طيبة ، ضاعفها بجده في المحاماة . . وقد كان في عنفوان الشباب - في حوالي الثلاثين من عمره - أنيقا ، مليحا ، ذا

جولات في دنيا الهوى تفوق جولاته في ميادين القضاء . . ثم انه كان جد قريب ، اذ كان بيته يلاصق دار الزوجين فعلا . واستعرضت هيلين كل هذه الاعتبارات ، ثم نكست راسها ، وتمتعت في استخذاء المغلوب على امره : « ما دامت هذه مشيئتك ، فسوف أعمل على ارضائك ، مهما اتكبد في هذا السبيل . ولكنى أرجو ان تتذكر دائما اننى لن افعل هذا الا من اجلك انت ! »

عند ما يذوب الجليد !

• وكئن من السهل على الشابة الجميلة ان تغوى جاره . فلقد كان الشارع - ككل شوارع الحى في تلك الايام ، ايام لويس الثالث عشر - ضيقا ، حتى لقد كان في وسع من يبسط يده من نافذة احدى الدور ، ان يمس يد جاره في البيت المقابل . وكانت تفصل البيوت القائمة على صف واحد ، أفنية كثيرة ما كانت تتصل فيما بينها بأبواب صغيرة ، لعلها كانت نوعا من وسائل الاحتياط للطوارئ ، كأن يشب حريق في دار ، فيستطيع أهلها أن يلوذوا بفناء الدار المجاورة .

والواقع أن جمال « هيلين » لم يكن سرا خافيا عن المحامي الشاب المجاور . . فقد كان يشهد الجارة الشابة - في كل صباح - وهى فى مخذعها ، أو فى فناء دارها ، أو وهى تتنقل بين حجراتها . . ولقد حاول مرارا أن يجتذبها اليه ، بالابتسام أو بمحاولة تحيتها ، ولكنه لم يكن - فى كل مرة -

يحظى منها ولو بنظرة واحدة،
حتى يئس منها ، فلم يعد
يشغل بها .

على انه فوجيء بالحال تتغير
في أوائل شهر مايو . . اذ
لاحظان الزوجة أصبحت تولى
نوافذ داره بعض نظراتها ،
وان طيف ابتسامة وأهنة كان
يتبدى على شفتيها . ولكن
الامر لم يتجاوز هذه الحدود ،
فلم يكن يجد ما يطمعه في
مزيد .

الى ان كان ذات صباح ، اذ
رأى « هيلين » تغادر دارها ،
وتغلق الباب خلفها بالمفتاح .
ثم سارت في طريقها ، واذا
المفتاح يقع منها في الطريق . .
وكانت فرصة لا تعوض ،
فأسرع والتقطه ، ثم هرع خلف
الحسناء وقدمه اليها ،
فشكرته في حرارة . . واردفت :
« ما أخالك تتصور يا سيدى
مدى الصنيع الذى أسديته لى ،



« . . واذا المفتاح يقع منها
فى الطريق . . وكانت فرصة
لا تعوض ! »

فان زوجى قد سافر ، ولن يعود قبل المساء .. فماذا كنت ترانى صانعة لو لم تعثر على المفتاح ؟ »

ولم تكن هذه العبارات أكثر من مجاملة عادية ، ولكن اللهجة التى بدرت من هيلين ، والابتسامة التى أشرق بها محياها ، خلبا لب ((جريزيو)) ، وبعثا فى نفسه المشاعر التى راودته من قبل نحو جارتته ، والتى جهد فى أن يكبحها حين لم يجد من المرأة تشجيعا .. فأجابها هذه المرة فى عبارات منمقة ، وهو يسير الى جوارها جنبا الى جنب .. وعأوده الامل والرجاء ، فحرص على أن يطيل من جبل الحديث ، قائلا : « مادمت وحيدة ياسيدتى ، فيسعدنى أن أكون رهن اشارتك ! » . واتسعت ابتسامتها وهى تقول : « شكرا .. فالواقع اننى ما خرجت من البيت الا لمجرد الرياضة » .

- اذن ، فهلا شرفتنى فسمحت لى بأن أسير فى ركابك ؟ .. ان الطقس صحو اليوم ، وانه لانسب الايام لنزهة خلوية ، فهلا سمحت لى بأن أصطحبك الى الخلاء ، فنتمشى على ضفة النهر ، ونحظى بالهواء الطلق العليل ، ثم نخرج - فى عودتنا - على أحد المشارب الخلوية ، فتسعدينى بأن تقبلنى منى بعض الشراب المرطب ؟

وأبدت ترددا ، كما تفعل كل امرأة شريفة تواجه اغراء الشيطان ، ثم انتهى بها الامر الى قبول العرض فى استحياء وارتباك . ويمما شطر نهر (السين) .

ولم تعد ((هيلين)) الا والنهار يحتضر .. ولكى لا يفتن أحد الى ما كان بينهما ، حرصت على أن تكون وحيدة فى

عودتها . ولم يرجع « جريزيو » الى داره الا ليلا . . ومع انه لم يحظ بأكثر من الامساك بيد الزوجة الحسناء ، والضبط على راحتها البضة الطرية ، الا انه لم يعد يشك في انه لن يلبث ان يوفق الى كسب قلب « هيلين » . . وأصبح يرصد حركاتها من نافذته ، فما من مرة رآها تغادر بيتها وحيدة الا أسرع الى اللحاق بها ، متظاهرا بأن المصادفات وحدها كانت تسوقه الى لقاءها !

أكياس النقود تتوالى . . دون مقابل !

• وكثرت أسفار الزوج ، فكثر لقاء « هيلين » و « ليونار جريزيو » ونزهاتهما . وذات يوم ، أطاعت الشابة الحاح جارها ، وذهبت معه لمشاهدة إحدى الفرق التمثيلية الهزلية . . وكان الزحام شديدا ، فلم يجد جريزيو بدا من أن يطوق خصرها بذراعه لكي يقيها وطأة التدافع . . وشيئا فشيئا ، أخذ يشد ذراعه حولها . . ثم ظلت ذراعه حولها في عودتهما . . واهم يلبث أن مال على الحسناء فقبلها ! . . وكانت هذه بداية مرحلة جديدة في علاقاتهما . مرحلة أباح لهيلين ان تفضي الى حبيبها ببعض همومها ، ف راحت تشكو له من غيرة زوجها ، ومن بخله وشحه - حتى انه كان يقتر عليها في الطعام واللباس وأدوات الزينة ! - وما كان المحامى الثرى العاشق ليطيع أن تعاني حبيبته هذا ، فأصبح يوافقها - في لقاءاتهما - وقد حمل كيسا متخما بالنقود ، حتى اذا آن لهما ان يفترقا ، دس الكيس في يدها . . وكانت

تحتج وتعارض في استحياء واستنكار ، ثم تنتهي الى قبول الكيس ، لتسلمه بعد ذلك الى « ميرى » ، الذى استمرأ هذا الكسب السهل ، فأخذ يشجعها على المضى فيه !

وانقضت شهور دون أن يظفر ((جريزيو)) من فائنته بأكثر من شفتيها . . فأخذ يزداد الحاحا في طلب المزيد . وكانت هيلين تعدد وتخلف ، ثم تتظاهر باللين لتعود فتصد وتقاوم . والواقع ان هذا المسلك منها لم يكن سوى مجرد حيلة . ذلك لان الزان الرعاية التى كان ليونار المستهام يحيطها بها ، بدأت تحدث آثارا في نفسها ، فلم تلبث ان راحت تقارن بين جماله وقبح زوجها ، وبين شبابه وكهولة « ميرى » ! . . وأخذ الالم الذى كان يتبدى على محياه كلما صدته ، يفرى قلبها ، فأصبحت تتلطف معه ، وتتسلل في كثير من الايام الى داره خفية . .

و ذات يوم ، تعمد المحامى أن يقصى خادمه عن الدار في الموعد الذى كان قد اتفق فيه مع هيلين على أن توافيه . وما ان ولجت هيلين داره ، حتى اطبقت عليها ذراعاها في وجد محموم . . ونسيت المرأة نفسها في حرارة أحضانه . وعندما غادرت ، كانت تاوم نفسها على أن ضيعت كل مافات من وقت ، ففوتت على نفسها ما اكتشفتته في ذلك اليوم من متع وملذات !

ودامت غرامياتهما - فى تكتم بالغ - طيلة الصيف ، وهيلين مواظبة على اسلام زوجها ماكانت تتلقاه من عشيقها من منح سخية ، والزوج مغتبط قرير ، مطمئن الى عفة زوجته

ووفائها ، مرتاح الى انها كانت من البراعة والدهاء بحيث أوقعت الجار المحامي في شباكهها ، دون أن تنيله وطرا .. فقد كان موقنا من انها - بعد كل ما أبدته من معارضة في البداية - ما كانت لتحيد عما قطعته على نفسها من وعد بأن تظل وفية له .

وفي تلك الاثناء ، كانت نشوة الهوى قد استخفت ((جريزيو)) ، فلم يعد يقنع بأن توافيه حبيبته في داره ، بل انه أصبح يتجاذف بالتسلل الى دارها كلما اطمأن الى غياب زوجها .. ولقد استقبلته هيلين - في البداية - مستاءة ، خائفة ، وجللة . بيد انها لم تلبث أن رضيت عن مسلكه ، سيما حين أقبل الشتاء بأمطاره وعواصفه ، ولم يعد في وسعها هي أن تذهب اليه !

غضبة مفاجئة .. للشرف !

• الى أن كان ذات مساء ، وقد أسكر الهوى العاشقين ، وإذا الزوج يعود الى داره بغتة ، فيفاجئهما .. وكان غضبه أعتى من كل ما يخطر بالبال ، ومن كل ما يرتقب من زوج كان هو الذي راح يدفع زوجته حتى اضطرها الى الانزلاق ! .. وكانت في يده عصا ثقيلة ، فهوى بها على رأس ((جريزيو)) .. واختلج جسم المحامي الشاب ، ثم همد وقد فارقته الحياة !

وآفاق الجاني من هياجه ، فجزع ، وارتبك ، وارتعدت فرائصه ، بينما أخرس الحادث « هيلين » وشل حراكها ،

وشتت بالها فلم تعد تقوى على أن تفكر في شيء .. وانما راحت تحمق في الجثة ، وفي زوجها ، بنظرات ملؤها الفرع والذهول !

واذ تمالك « ميرى » بعض رباطة جأشه ، أخذ يزن تبغات فعلته . فلم يلبث أن هتف بزوجه : « حذار أن تنبسى بكلمة ، أو تطلقى صرخة ، والا ألحقتك بعشيقك ! .. وفيما عدا ذلك ، فسأتكفل أنا بكل شيء ! »

وكان بوسعها أن يدع الجثة حيث كانت ، وأن يدعى أنه قتل المحامي الشاب في سورة الغضب لشرفه وعرضه ، ولكنه خشى ما قد يخوضه من متاعب ومضايقات إلى أن يثبت براءته .. وخشى فوق هذا أن تفضحه زوجته متعمدة ، أو تحت وطأة الخوف من إجراءات السلطات .. لذلك قرر أن يتخلص من الجثة ، بأسرع ما في وسعه ، وفي تكتم تام ..

لعنة القتل .. تلاحق القاتل !

♦ إلى هنا والمأساة عادية ، كغيرها من مآسى الهوى .. ولكن المرء سيجد - في المراحل التالية منها - الدليل على أن كل شيء جائز في الجريمة ، ولو كان يفوق الخيال .. بل ولو كان مما يابى العقل أن يصدقه !

ذلك أن « ميرى » أسرع فحمل جثة ضحيته على كتفيه ، ودلف بها خلال الباب المفضي بين فناء داره ودار « جريزيو » ، ثم نثار في حذر ، وألقى بالجثة على الأرض المرصوفة بالحصى ، أمام سلم الدار ، بحيث تبدو وكأنها زلق صاحبها - وهو يصعد السلم - فهوى ، وارتطم رأسه بالأرض ♦ ولعل الأمور

كانت تسير كما تخيلها « ميرى » ، لو لم يكن خادم « جريزيو »
رعديدا ، جباناً . . فقد صدرت عن « ميرى » بعض الضوضاء ،
وهو ينسحب عائدا الى داره - برغم كل حذره - فاذا
الخادم « مارتان » يستيقظ من نومه . وأسرع فحمل
مصباحا ، وهبط الى مدخل الدار . . وهناك ، فوجيء بمولاه
مسجى على الارض ، مهشم الرأس ، فاقد الحياة !

وانحنى عليه يفحصه ، فرأى الجرح ، وتبين بجلاء انه
انما حدث نتيجة ضربة عنيفة بعصا ثقيلة . وتولاه الجزع
اذ خيل اليه انه قد يتهم باغتيال مخدومه . ولكى يتخلص
من كل شك قد يتجه اليه ، حمل جثة القتيل - بعد ان
اطمأن الى خلو الشارع من المارة - وهو لا يفكر الا فى وضعها
بعيدا عن البيت . . ولكن ، أين ؟ . . ولم تطل به الحيرة ،
فوسد الجثة مدخل دار « اوجستان ميرى » المجاورة ، ثم
تسلل عائدا .

ورابت « ميرى » الحركة الخفيفة التى تناهت الى اذنيه
فى هدأة الليل ، ففتح النافذة المطلة على مدخل داره ، واذا
به يفاجأ بجثة ضحيته ، وكأنها أسرع بالعودة لتهمه ! . .
واشتد به الاضطراب . . لابد له من ان يتخلص من هذا
الخطر الداهم ، مهما يكن الثمن . ولكن ، كيف ؟

ولم تسعفه القريحة الا بفكرة واحدة . . تلك هى أن يحمل
الجثة فى كيس - والليل لا يزال باسما ظلامه - فيلقى بها
فى أحضان نهر (السين) ، فلا يلبث التيار ان يحملها الى
البحر ، ولا يبقى لها أثر ! . . وهكذا حمل « ميرى » جثة
ضحيته وراح يتسلل فى أطواء الظلام ، يخطو فى حذر ، ويلوذ

بالجدران متواريا ، وهو يسعى نحو النهر ..
ولم يتعد كثيرا حتى سرت الى سمعه همسات مكتومة ،
ووقع خطوات . وأيقن ان رجال الشرطة يطوفون بالشوارع ،
في جولاتهم الليلية ، فأسرع الى حارة ضيقة معتمة ، حيث
توارى في مدخل أحد البيوت ، وهو يمسك أنفاسه ..
والخطوات تقترب باضطراب . وما لبث أن مر به أصحابها ،
فاذا بهم ليسوا من الشرطة ، وليسوا أكثر من اثنين . وتناهت
الى اذنى «ميرى» بضع كلمات أدرك منها انهما من اللصوص .
وتبين انهما كانا يحملان كيسا ثقيلًا .. ولم يلبثا أن وقفا
غير بعيد من مخبئه ، فأسلما كيسهما الى الارض ، وراحا
يتداولان . وعلم ميرى من حديثهما انهما كانا قد اغارا على
حانوت جزار ، فحشوا كيسهما باللحم ، ولكن الحمل ثقل
عليهما . وكان أحدهما يعرف حانة قريبة ، فاقترح على
صاحبه أن يترك الكيس في مدخل أحد البيوت ، ثم يذهبا
الى صاحب الحانة فيفاوضاه في أن يتنازع غنيمتهما ..
وسرعان ما بادرا الى تنفيذ الاقتراح .

مصادفات .. أعجب من « حواديت » ألف ليلة !
♦ ولهمت فكرة في رأس « ميرى » . فما ان اطمأن الى
ابتعاد الرجلين ، حتى سعى من مخبئه ، فوضع الكيس الذى
أودعه جثة « جريزيو » ، وحمل الكيس الآخر ، وأسرع
عائدا الى داره ! .. وما لبث اللصان ان عادا . واذا هما
يحملان كيسهما ، رابهما أمره ، فأسرعا يفحصانه ، واذا بهما
يكتشفان انه كيس آخر ، وان بداخله جثة ! .. واسقط في

أيديهما . وكادا أن يتركاه ويوليا الادبار ، لولا أن خطر لهما
ان الحانة التي فاوضا صاحبها في شراء اللحم غير بعيدة ،
وانه اذا سمع نبأ الجثة - عند اكتشافها - سيرتاب في
أنهما صاحبها ، لاسيما اذا هما لم يعودا اليه بعد ان اتفقا
معه على الصفقة . وبذلك يتعرضان لشبهات لن يجدا
سبيلا الى دحضها أو ردها عن نفسيهما .

فما العمل اذن ؟ . . وكيف الخلاص ؟

ولم يطل بهما التفكير ، فقد راودهما خاطر اسرعا
بالاستجابة اليه . . ذلك هو ان يحمل الكيس الى حانوت
الجزار الذي سرقا منه اللحم . . وفعلا نفذا الفكرة ، ولم
يلقيا عناء في هذه المرة ، اذ كانا قد حطما أقفال الحانوت في
المرة السالفة . . وعلقا الكيس بما فيه في أحد المشاجب التي
يعلق الجزار اللحم فيها ، ثم أسرعا بالانصراف !
ولا بد ان الحظ كان ناقما على المحامي القليل ، فلم يكتف
بكل ما تعرضت له الجثة - منذ أصبحت جثة - وانما اعد
لها محنة جديدة . ففي حوالى الساعة الرابعة صباحا ،
خطر لصبي الجزار أن يسرق لنفسه شريحة من اللحم ،
ينتقم بها مما يعانيه من شح الجزار وتقتيره . فهبط من
المسكن - اذ كان يقيم مع مخدمه فوق الحانوت - وأمسك
بالسكين . .

وفجأة لمح الكيس ، ولم يكن قد رآه قبل اغلاق الحانوت ،
فعجب من أمره ، وأسرع يفحص مافيه . . وما ان رأى
الجثة ، حتى أطلق صيحة مدوية ، وخر مغشيا عليه . .



« .. وفجأة لمح الكيس ،
فعجب من أمره ، واسرع يفحص
ما فيه .. »

واستيقظ الجزار على الصرخة ،
فهرع الى الحانوت . فلما رأى
الجثة دهش . ومن الطبيعى أن
يكون قد ارتاب فى أن مساعده
قاتل . وعبثا حاول الصبى
- حين أفاق - أن يشرح له
الامر .. على أن ما شغل
الجزار أكثر من سواه ، هو أن
الفجر كان قد اقترب ، وخشى
أن يطالع النهار والجثة فى حانوته
فتجر عليه المتاعب !

واحترار الجزار فى الامر .
وفتح باب الحانوت ، وأطل منه
ليتفقد الطريق قبل أن يقدم
على شيء ، فاکتشف أن الاقفال
كانت مهشمة .. على انه لم
يعر هذا اهتماما ، من فرط
لهفته على التخلص من الجثة .
وفجأة ، سمع فرسه تصهل
فى الحظيرة المجاورة ، فاذا به
يحمل الكيس بجثته ، فيربطه
الى ظهر الفرس ، ثم يسوطها
فتندفع تجرى على غير هدى !

قطرات من الدم ، على عتبة الباب !

♦ وكانت الساعة اذ ذاك قد بلغت السادسة صباحا ، وغادر العمال مضاجعهم يسعون الى كسب عيشهم .. واجتذبت الفرس الانظار وهى تجرى كالمجنونة فى الشوارع ، الى ان تعثرت فى حجر فسقطت ، وكسرت احدى سيقانها . ودفع الفضول بعض المارة الى ان يتبينوا ما كانت تحمل ، فاذا بهم يجدون الجثة . وسرعان ما تعالت الصيحات ، واقبل الشرطة ، وبدىء فى التحرى والتحقيق .

وعرفت الفرس ، فاهتدى المحقق عن طريقها الى صاحبها ، ولكن أقفال الحانوت المهشمة عززت روايته حين زعم انه لم يكن يعرف عن الامر شيئا على الاطلاق ، وان الفرس سرقت من حظيرته ، فلم يكن له شأن بما حملت .

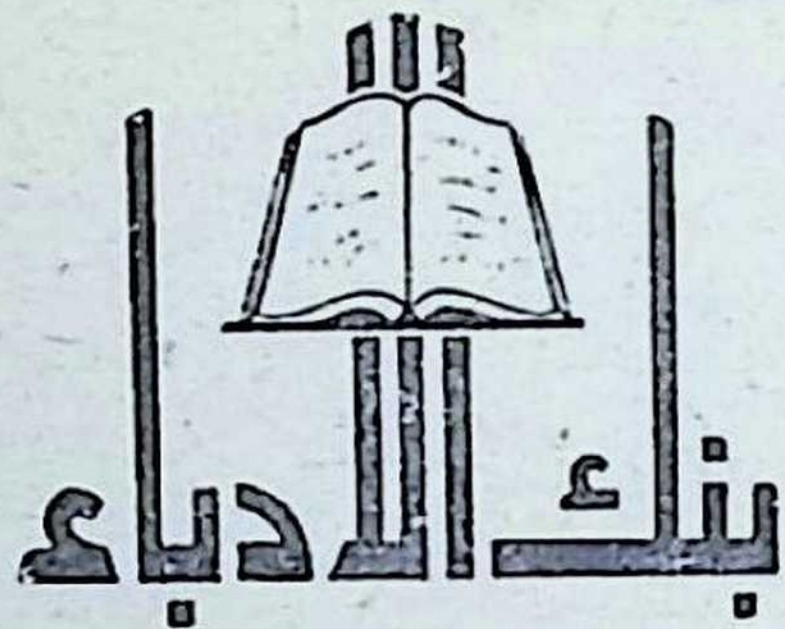
وعرف صاحب الجثة ، فما ان ظهر انه المحامى « جريزيو » ، حتى ضاعف المحقق من اهتمامه . فلقد كان « جريزيو » - الى جانب شهرته كمحام - ذا سمعة فى ميدان المفامرات الهرامية .. ولذلك رجح المحقق ان تكون وراء الجريمة اسباب تمت الى هذه السمعة .

والقى القبض على خادم « جريزيو » .. الخادم الرعيد ، الذى أفزعه وجود جثة مخدمه فأراد ان يتخلص منها - حتى لا يتهم بشيء - واذا بها تعود اليه ، برغم كل ما مرت به . واقر الخادم بذنبه ، تحت وطأة الخوف . اقر بأنهلقى الجثة عند باب الجار .. وكان من الطبيعى ان يلقي المحقق نظرة على المكان الذى قال انه وجدها عنده ، ليستبين

مدى صدقه .. وأجال المحقق بصره حول المكان ، وإذا
بضغ قطرات من الدم ترشده الى الباب الصغير الذى كان
يصل بين فناء دار المحامى وفناء دار جاره .. « ميرى » !
أتراك بحاجة بعد هذا الى من ينبئك بما جرى ؟ .. كان
من الطبيعى ان يلقى القبض على « ميرى » ، وان تحوم
الشبهات حول زوجته .. وعلى هذا الضوء زاح المحقق
يسأل خادم « جريزو » ، فأففى بما لاحظته من علاقات بين
مخدومه والجارة الحسناء . وألقى القبض على « هيلين »
هى الاخرى ..

وتكشفت الحقيقة واضحة سافرة .. اعترف « ميرى »
بأنه فاجأ جاره المحامى فى أحضان زوجته ، فضربه بالعصا ،
وكانت ضربة قاضية .. وألفت « هيلين » ان زوجها قد
تخلى عنها ، وأنه كشف خيانتها لينخف من عبء الجريمة
عن عاتقه ، فسارعت هى الاخرى الى التخفيف عن نفسها
ورد العبء الى زوجها ، بأن أفضت بما أغراها به من خطة
للاتجار بجمالها !

وأفاحت « هيلين » ، بينما أخفق « ميرى » .. ولعل
جمالها كان ذا تأثير على القاضى وعلى رأى العام .. فقد
برئت ساحتها ، فى حين قضى بالاعدام على زوجها ..
وفى ١٩ ابريل عام ١٦٢٨ ، فى أحد ميادين (روان) ،
نفذ فيه حكم الاعدام .. شنقا !



أول مؤسسة عربية لتمويل الاعمال الادبية

ه ميدان الفلكي (باب اللوق) - القاهرة

تليفون : ٢١٢٢١

الفرض من انشاءه : تشجيع الادباء والمؤلفين
وأصحاب المواهب ، والعمل على اخراج انتاجهم الادبي
الى عالم النور ، الى ايدي جماهير القراء .

مذكرات - آراء - قصص

روايات - اجتمعا عيات - علوم

استعداد عظيم : يديره ويشرف عليه نخبة ممتازة
من الادباء . جهاز كامل من الخبراء ، في الابواب الآتية :

ا : الورق بأنواعه .

ب : الطباعة وفروعها .

ج : الاعلان وفنونه .

د : التوزيع في مصر والخارج .

ه : محاسبات سريعة .

تقدم فورا بانتاجك الادبي الى بنك الادباء ، وسلمه
النسخة الخطية وتسلمها منه كتابا أنيقا ناجحا ، موزعا
خير توزيع . (واذا لم تكن من سكان القاهرة ، فأرسل
انتاجك بالبريد المسجل الى العنوان عاليه ، يصلك
الاىصال بالافادة والشروط برجوع البريد .)

مدينة الخطايا والخطاة!

سودوم وعمورة

.. التي فرّ منها النبي
"لوط" قبل أن يدعّرها الله!

تحقيق في قالب قصصى
للأبترى المؤرخ: "بول ايلتون"



رحلة شائقة • • في التاريخ !

عزيزى القارئ • •

♦ نقات البرقيات العالمية منذ أسبوعين أنباء مثيرة عن محاولات جديدة ستبذل قريبا على ضفة (البحر الميت) ، بالأردن ، لاكتشاف أطلال المدينتين التوأمين « سدوم وعمورة » ، اللتين لعنتهما الكتب المقدسة كما لم تلعن مدينة من مدن الأرض ، فقد استحل أهلها كل الموبقات ، وأقبلوا على أشنع ألوان الفسق - لاسيما اللواط والسحاق - وجعلوا الأثم ربة عبدوها ، بل بلغوا في الغواية مبلغا كادوا معه أن يفتنوا أهل النبی « لوط » ، لولا أن فر وذووه منهما قبل أن تدمرهما « نار وكبريت من السماء » ، كما ورد في سفر « التكوين » بالتوراة . أنها قصة من أروع القصص التاريخية والدينية الخالدة على مر الأيام ، نلخصها لك فيما يلي - تلخيصا وافيا مطولا - لمناسبة ما نشرته صحيفة « التايمز » البريطانية من أن الأبحاث سوف تستأنف قريبا في قاع (البحر الميت) للبحث عن آثار المدينتين المذكورتين ، بعد أن أعلن طيارون تابعون لشركات طيران مختلفة أنهم رأوا ما يبدو أنه أطلال اعمدة ، وشوارع ، وبيوت ، في قاع ذلك البحر !

وأضافت « التايمز » أن حملات التنقيب عن آثار المدينتين الملعونتين سوف يقودها غواصان من فرق « الضفادع البشرية » المتخصصة في الغوص في أعماق البحار ، أحدهما أمريكي يدعى « (ملفين ريزي) » ، والآخر كندي يدعى « (فنسنت باروود) » ، وسوف يرتديان أردية خاصة للوقاية من التأثير

اللاذع للاملاح التي تتشبع بها مياه البحر الميت . وقد تقرر ان تبدأ الابحاث في جهة (الدسمان) التي تؤلف شريطا من الارض يمتد داخل البحر عند ضفته الجنوبية . والمعروف ان موقع «المدينتين الملعونتين» لم يحدد قط بصورة دقيقة ، رغم المحاولات العديدة التي بذلت في هذا السبيل . ويعتقد

كثيرون من علماء الآثار ان المدينتين المذكورتين كانتا تقعان في جنوب البحر الميت . .

وجاء في بحث نشرته بهذه المناسبة جريدة (وطني) ، بقلم السيد (عوده بطرس عوده) ، من دمشق : « ان عملية الكشف والتنقيب ستبدأ بالفعل بعد أيام قليلة في أعماق البحر الميت من جهته الغربية ، على مقربة من (خربة قمران) التي اكتشفت قبل خمس سنوات وعشر فيها على اقدم توراة مكتوبة على قطع من الجلد . وقد جاء في سفر التكوين ان اعمدة الملح الموجودة قرب لسان البحر الميت انما هي هياكل لاجسام بعض سكان مدينتي (سدوم) و (عمورة) . والتنقيب في تلك المنطقة يتم بالفطس الى أعماق البحر الذي ينخفض عن سطح البحار الطبيعية ١٢٩٨ قدما ، وتبلغ أعماق نقطة في البحر الميت الف قدم . ويعتبر هذا البحر أعماق منخفض في العالم ، وهو لا يبعد عن القدس سوى ٣٥ كيلو مترا . ويعتقد المنقبون والباحثون عن المدينتين التاريخيتين بأن مفتاح العثور على (عمورة) بوجه خاص هو (خربة قمران) . وجزء من هذه الخربة يمتد بوضوح الى أعماق البحر ، مما يؤيد الروايات التاريخية من جهة ، ويزيد في عزم المنقبين من جهة ثانية . وعلى أثر اكتشاف مخطوط التوراة في (خربة قمران) - وهو المخطوط الذي اعتبره علماء الآثار أقدم المخطوطات في العالم - اتجهت انظار الكثيرين من علماء

الآثار والمنقبين الى منطقة البحر الميت ، على أمل اكتشاف مدينة لوط التي فسق أهلها وانحلت أخلاقهم ، ولقوا نتيجة ذلك جزاءهم نارا وطوفانا . ويطلق البعض على البحر الميت « بحيرة لوط » ، نسبة الى النبی لوط الذي كان يسكن (عمورة) ، إحدى المدن الخمس التي غمرها الطوفان ، ثم تكون من الطوفان البحر الميت الحالي .

« وقد صرح الدكتور « وليم فوكس » - الذي يعتبر أشهر علماء الآثار الفلسطينية - بأن الأبحاث الواسعة النطاق التي قام بها في وادي الأردن وعلى سواحل بحيرة لوط والبحر الميت ، تؤكد أن القصة الواردة في الكتب السماوية عن (سدوم) و (عمورة) ليست خرافة أو قصة رمزية ، بل هي حقيقة تاريخية ، بجميع جزئياتها وتفصيلها . وسيتولى دكتور فوكس التنقيب بنفسه في آثار المدينتين ، مستعينا بأمر الفطاسين وبأحدث الآلات ، بعد أن وافقت الحكومة الأردنية على طلبه . »

هذا الكتاب . . ومؤلفه

♦ ولهذه المناسبة ، يقدم (كتابي) لك فيما يلي تلخيصا لاوفي كتاب تناول بالسرد والتحقيق - وان يكن في قالب روائي جذاب - قصة هاتين المدينتين الملعونتين ! . . ومؤلف الكتاب هو الكاتب وعالم الآثار المشهور « بول ايلتون » ، الذي قام بدراسة تاريخ الشرق الأدنى ، وتزعم بعثات للتنقيب عن الآثار القديمة في معظم أرجائه . . واستكمالا للفائدة ، وتصحيحا لبعض أحداث القصة التي اشتط فيها خيال المؤلف ، رأينا ان نمهد لها بأهم آيات « التوراة » و « القرآن » التي وردت بصددتها :

القصة • • في التوراة

« • • ولوط السائر مع ابرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام • ولم تحتملها الأرض أن يسكنا معا ، اذ كانت أملاكهما كثيرة • • فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشى ابرام ورعاة مواشى لوط • فقال ابرام للوط : « لا تكن مخاصمة بينى وبينك ، وبين رعائى ورعاتك ، لأننا نحن أخوان • أليست كل الأرض أمامك ؟ اعتزل عني • ان ذهبت شمالا فأنا يميننا ، وان يميننا فأنا شمالا » • فرفع لوط عينيه ، ورأى كل دائرة الأردن ، ان جميعها سقى قبلما أخرج الرب سدوم وعمورة ، كجنة الرب ، كأرض مصر • • • فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن ، وارتحل لوط شرقا • • ونقل خيامه الى سدوم • وكان أهل سدوم أشرا وخطة لدى الرب جدا • »

((سفر التكوين ١٣))

« • • وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر ، وخطيتهم قد عظمت جدا • أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى الى • والا فأعلم • • • فتقدم ابراهيم وقال : « أفتهلك البار مع الأثيم ؟ عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل

الخمسين باراً الذين فيه ؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر ! » . . . فقال الرب : « ان وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة ، فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم » . فأجاب ابراهيم وقال : « انى قد شرعت أكلّم المولى وأنا تراب ورماد . ربما نقص الخمسون باراً خمسة ، أتهلك كل المدينة بالخمسة ؟ » . فقال : « لا أهلك ان وجدت هناك خمسة وأربعين » . فعاد يكلّمه أيضاً ، وقال : « عسى أن يوجد هناك أربعون » . فقال : « لا أفعل من أجل الأربعين » . فقال : « لا يسخط المولى فأتكلّم . عسى أن يوجد هناك ثلاثون » . فقال : « لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين » . فقال : « انى قد شرعت أكلّم المولى . عسى أن يوجد هناك عشرون » . فقال : « لا أهلك من أجل العشرين » . فقال : « لا يسخط المولى فأتكلّم هذه المرة فقط ، عسى أن يوجد هناك عشرة » . فقال : « لا أهلك من أجل العشرة » .

« سفر التكوين ١٨ »

« . . . فجاء الملاكان الى سدوم مساء ، وكان لوط جالسا في باب سدوم . فلما رآهما لوط اقام لاستقبالهما ، وسجد بوجهه الى الأرض . وقال يا سيدى ميلا الى بيت عبدكما . . . فمالا اليه ودخلا بيته . . . وقبلما اضطجعا ، أحاط

بالبيت رجال سدوم من الحدث الى الشيخ • فنادوا لوطا
 وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة ، أخرجهما
 اليينا لنعرفهما • فخرج اليهم لوط الى الباب ، واغلق الباب
 وراءه ، وقال : « لا تفعلوا شرا يا اخوتى • هو ذا لى
 ابنتان لم تعرفا رجلا ، أخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما
 يحسن فى عيونكم • وأما هذان الرجلان ، فلا تفعلوا بهما
 شيئا ، لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفى » • • • فآلحوا على
 الرجل لوط جدا ، وتقدموا ليكسروا الباب ، فمد الرجلان
 أيديهما وأدخلا لوطا اليهما ، الى البيت ، وأغلقا الباب •
 وأما الرجال الذين على باب البيت ف ضرباهم بالعمى من
 الصغير الى الكبير ، فعجزوا عن أن يجدوا الباب •
 وقال الرجلان للوط : « من لك أيضا ههنا ؟ أصهارك
 وبنيتك وبناتك وكل من لك فى المدينة ، أخرج من المكان ،
 لأننا مهلكان هذا المكان ، اذ قد عظم صراخهم أمام الرب ،
 فأرسلنا الرب لنهلكه » • • • ولما طلع الفجر ، كان الملاكان
 يعجلان لوطا قائلين : « قم خذ امرأتك وابنتيك الموجدتين
 لئلا تهلك باثم المدينة » • ولما توانى ، أمسك الرجلان
 بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه ، وأخرجاه
 ووضعاه خارج المدينة • وكان لمبا أخرجاهم الى خارج
 المدينة ، انه قال : « اهرب لحياتك • لا تنظر الى ورائك

ولا تقف في كل الدائرة • اهرب الى الجبل لئلا تهلك •
 واذ أشرقت الشمس على الأرض ، دخل لوط الى
 (صوغر) ، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا
 من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة
 وجميع سكان المدن ونبات الأرض • ونظرت امرأته من
 ورائه فصارت عمود ملح • • «

((سفر التكوين ٢٠))

القصة • • في القرآن

« • • ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم
 بها من أحد من العالمين • انكم لتأتون الرجال شهوة من
 دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون »

((سورة الاعراف ٨٠ - ٨١))

« • • أننكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ، وتأتون
 في ناديكم المنكر ، فما كان جواب قومه الا أن قالوا أئتنا
 بعذاب الله ان كنت من الصادقين »

((سورة العنكبوت ٢٩))

« • • ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، قالوا انا
 مهلكو أهل هذه القرية ، ان أهلها كانوا ظالمين • قال ان

فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها • لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين »

« سورة العنكبوت ٣١ - ٣٢ »

« • • • ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب • وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات • قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تحزوني فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد • قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد • قال لو أن لى بكم قوة ، أو آوى الى ركن شديد • قالوا : « يا لوط انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك • فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ، انه مصيبها ما أصابهم ، ان موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب » • فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد »

« سورة هود ٧٧ - ٨٣ »

« • • • ولوطا آتيناه حكما وعلما ، ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ، انهم كانوا قوم سوء فاسقين »

« سورة الانبياء ٧٤ »

« .. ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ، فذوقوا
عذابي ونذر »

((سورة القمر ٣٧))

سدوم وعمورة

للكاتب المؤرخ : ((بول ايلتون))

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

— ٩ —

♦ كان الجبل ارجوانيا تحت أشعة الشمس الآفلة .. وفي
شرفة المعبد التى اكتنفتها الظلال ، وقف « بوثيا » الكاهن الاعلى
يرتقب هبوط الليل . وفي الفناء المنبسط امامه ، كانت السنة
النار السرمدية تزداد توهجا وتطاولا ، فتعكس ظللا متراقصة
على تمثال « عشيرات » ، ربة الخصب .. وفوق الجبل المشرف
على الوادى ، وقف كاهنان يرقبان احتضار الشمس ، حتى
اذا توارت ، نفخا فى بوقين من قرون الكباش ، يعاننان لاهل
(سدوم) و (عمورة) موالد ايل جديد ، ليرفعوا الى ربهم
« عشيرات » صلواتهم ، حبا وعشقا !

وتأمل « بوثيا » تمثال الربة .. لكم كان يحبها ويوقرها ،
فهى التى اختارته ليكون وريثا لعرش المعبد ، واختارت له
زوجته « ديبون » الجميلة ، التى صار لقبها « الكاهنة العليا »

.. كما كانت للربة عليه افضال اخرى لا تحصى ، فقد كان الوادى غنيا ، والمدينة واسعة الثراء ، والقوم سعداء .. وكانت اعظم نعمها « نشوة الحب » ، وهل أبدع فى الحياة من الحب ؟ .. انه هو الحياة ، ومنبع الحياة !

وما كان أحد ليذكر متى وفدت « عشيرات » على مدينتى (سدوم) و (عمورة) . فلعل تمثالها كان قائما أبدا فى فناء

المعبد ، يحرس الرادى الذى يقطعه المرء فى ثلاثة أيام وليلتين ، والذى كان النهر يكسبه خصبا .. وعلى هذا الوادى ، كان « بوثيا » يبسط سلطانه ، كما ساده أبوه من قبله ، وكما سيحكمه ابنه من بعده . انه ليذكر تلك الليلة التى مات فيها أبوه منذ ست سنوات ، وأودعت جثته البئر التى تحت النار السرمدية !.. لقد قبع « بوثيا » - اذ ذاك - فى حجرة من المعبد ، فى جوف الجبل ، فى انتظار الكهنة ليقوموا بطقوس تعيينه كاهنا اعلى ، فلما أقبلوا ، أسلمهم اطرافه ليطرقوها بالحلى الذهبية ، وصدره ليحيطوه بدرع ذهبية مرصعة باليواقيت والعقيق . وبعد ان توجوا رأسه بتاج من ورق الشجر ، أحاطوا به يرفعون الدعوات الى « عشيرات » أن تسدد خطاه ، وان تنمى فحولته ، وان تسوق اليهم الخير على يديه . ثم ركعوا - كل بدوره - وقبلوا يديه وقدميه ، وما لبثوا ان تقدموه فى صف يحف به عبيد يحملون المشاعل ، الى فناء المعبد ، حيث كان القوم محتشدين .

واستقبلته عاصفة من الهتاف ، فتقدم من النار السرمدية وركع امامها ، ثم استقام وسار الى « عشيرات » فركع مرة

أحرى ، ثم اعتلى العرش ، فبدأ حكمه ! . . وراح القوم يرقصون ، ويتعانقون ، ويتبادلون القبلات في شبق وصباة . . وعلى سفح الجبل - خلف المعبد - انهمك العبيد في رقص وحشى . . وفي أعالي الجبل ، زحف المجدومون - الذين بقيت فيهم بقية من قوة - فغادروا مفاراتهم ، وراحوا يلوحون بأخشاب مشتعلة . ودقت الطبول ، فساد القوم صمت مفاجيء ، وشخصت الابصار الى عبيد اقبلوا من مكان تحت سلم الشرفة ، يتقدمهم ثور أسود عات ، راحوا يشدون بهبال متينة ليكبحوا جماحه . وأطلق القوم صيحات حافلة بمشاعر مهتاجة . فقد كانت عملية اختيار « الكاهنة العليا » وشيكة البدء . وبين ظلال أعمدة الشرفة ، كانت خمس عذراوات - كل منهن الابنة الاولى لواحد من كهنة المعبد - يقفن في الانتظار . فقد كانت الشريعة تنص على أن تصبح كاهنة عليا ، وزوجة لبوثيا ، من تتغلب منهن على الثور . . أقوى ثيران « عشيرات » ، وأكثرها فحولة ! وتقدمت أولاهن ، فساد الصمت المكان . . وان هى الا لحظة حتى غيب الثور قرنه في صدرها ، فأسرع العبيد وخلصوها منه ، وحملها كاهن فرفعها نحو « عشيرات » ، ثم طوح بها الى النار السرمدية ، بين صيحات القوم . . ودقت الطبول ، فساد الصمت من جديد . وتقدمت عذراء ثانية ، فاتنة ، فى الثامنة عشرة من عمرها ، لم يمسسها بشر . . على أنها لم تكد ترى الثور حتى وجلت وتراجعت ، فهتف القوم : « انها خائفة ! » . . ثم تعالى صياحهم : « خائفة ! . . ارموا بها الى المجدومين ! » . . وتبعثها العذراء الثالثة الى المصير ذاته . وفى المرة الرابعة ، اقبلت « ديبون » فوقفت عند قمة السلم

في جلال وشجاعة . ثم هبطت فسارت الى الثور ، ولم تقف
الا على بضع بوصات منه . وأرخت العبيد الجبال ، فظلت
واقفة وثوبها الشفاف يكشف كل مفاتن جسمها . . . وكانت
في السادسة عشرة ، ذات جمال مهيب ، فكأنها من الربات ،
وليس من البشر !

وثبتت بصرها في عيني الثور وهي تبتسم ، فلم يتحرك .
فبسطت يدا رقيقة تحسست بها وجهه ، ولكنه لم يثر ولم
يجفل . وفجأة ، خفض رأسه ، فشق قرنائه غلالة العذراء ،
ولكنها لم تخف - بينما شهق القوم مرتاعين - وانما تقدمت
فطوقت عنق الثور بذراعها ، وكأنه حبيب . . . وانفجرت لهتافات
من القوم ، ولكن « ديبون » بدت كالصماء لا تسمع ، وتحولت
تقود الثور الى الحظيرة بخطوات رشيقة ، فارتج الجبل لهتافات
القوم . . . وتضاعف هياجهم حين عادت اليهم العذراء فنضت
عنها غلالتها ، وسارت عارية فجت أمام « بوثيا » ، انذى بادر
فأنهضها وزاولها صولجان « عشيرات » !

نسة أعوام مرت ، افتنن خلالها بوثيا بديبون . ولكنه لم
يكن يتمالك ان يسائل نفسه أحيانا : « أكاھنة هذه ام ربة
للشر ؟ . . المرأة هي أم حية رقطاع ؟ » . . لقد فرضت عليه
سلطانها منذ الليلة الاولى . وكثيرا ما غادر مخدعها متعشرا ،
مفكك الاوصال ، وكأنه كلب مضروب . فلقد كانت ذات شهوة
هوجاء ، ولم تكن تترفق به . . . ولقد عرف نساء غيرها خلال
تلك الاعوام - كما كان منتظرا منه ككاھن أعلى - وعرف كذلك
رجالا كان يستقدمهم الى مخدعه من كهنة المعبد ، أو من شباب

أرقى أسرات المدينة ، ولكن أحدا منهم لم يحظ بشرف العودة الى مخدع الكاهن الاعلى مرة أخرى ، سوى « سوسيم » الجميل البديع الجسد ، المفتول العضلات . ومع ذلك ، فان « بوثيا » لم بفتتن بغير « ديبون » ، وقد أدركت هى ذلك فراحت تتأبى عليه ، وتتمرد على رغباته وسلطانة ، وتلقى بنفسها جهارا فى أحضان غيره من الرجال ، وهى تدرك انه لن يقوى على البطش بها ، فلقد كان يهيم بها ويشتهيها ، وقد أذله وجده ، فلم يكن يملك أن يستغنى عنها !

— ٢ —

♦ **جلس « اوط »** على التل مشرفا على خيام عشيرته ، ولم يبق الا يومان أو ثلاثة حتى يصلوا الى (سدوم) و (عمورة) — وارب ابراهيم الحمد — فيبدأوا عملية الاستقرار ، بما يصحبها من مشكلات معقدة . ولقد كبدهم اجتياز الجبال أكثر مما توقع « اوط » . على أن كل المتاعب انمحت حين قدر له أخيرا أن يقف على قمة الجبل الاخير — فى عصر ذلك اليوم — ويطل على الوادى . . **الوادى الذى سماه ابراهيم بحق « وادى الرب »** ، **وها هو ذا يصبح « وادى لوط »** ، فقد وهبه الرب **إياه ! . .** ولقد كان أهل (سدوم) يعمرونه ، ولكنهم كانوا عبدة أوثان ، وان يرتضى الله أن يكون مثل هذا الوادى الرائع اوثنيين ! . . ولكم كان لوط حكيما إذ اختار هذا الوادى ، حين دعاه ابراهيم لان يختار ! . . لقد كان ابراهيم صادقا فى حبه له ، فقد اصطفاه ، وقربه اليه ، وعرفه بربه غير المنظور ، الذى وهبه سلطانا ، وثروة ، وحكمة . . ولقد كان هو الآخر يحب

ابراهيم ، أفلم يكن ابراهيم عمه ؟ . وما كان ذنب لوط ان رعاته لم يستطيعوا أن يعيشوا في سلام مع رعاة ابراهيم ، فاما لم يستطع هذا أن يطيق الشقاق ، اقترح الفراق ، وترك له اختيار الاتجاه الذي يمضي فيه ، لينطلق هو في اتجاه مضاد . واختار لوط أن يذهب نحو اليسار ، الى الشرق ، حيث وادي الاردن الخصيب .

وسرح لوط بصره الى حيث كانت زوجته . . ولاحث «اسكيا» كما لو كانت نائمة ، وهي تنظر في النار بعينين نصف مغلقتين ، وقد اخذت تحلم . والى جوارها جلست ابنتاهما « نعمة » الرقيقة ، و « أبومي » الجميلة ، وقد استندت كل الى الاخرى لفرط التعب . وخلفهن جلست « بره » ، مربية الفتاتين النربية . . وعلى مقربة ، جلس « جارو » العبد المصري الذي وهبه ابراهيم للوط منذ صغره . لكم كان لوط قانعا بأهله هؤلاء ! . لقد كانت « اسكيا » في سن تعادل نصف سنه ، ولكنه بواها مكان الام من العشرة ، وكانت له مطيعة - طوال السنوات الخمس عشرة التي قضياها معا - تنصاع له وتحترمه ، وترى فيه سيدا ، لا زوجا فحسب . ومن الصحيح انها عجزت عن أن تلد له ولدا ذكرا ، ولكنه كان يعلن نفسه بأن المستقبل كفيل بأن يمنحهما ما يتوقان اليه . وكان ينشد السلوى عن البنين فيما يقدقه من حب على « نعمة » - التي كانت صورة من أمها « اسكيا » - و « أبومي » التي كانت تشبهه ، والتي كانت تكبر اختها بعام ، وقد اشرفت على الخامسة عشرة . وقفز « جارو » على قدميه ، مشهرا جريته ، اذ انبعث

وقع قدمين على مقربة . . واذا برجل من العشرة يتقدم الى « لوط » ليخبره بأن قافلة للتاجر « عبار » تمر بالمكان ، وان صاحبها يلتمس لقاءه . فقال لوط : « اننى أعرفه . فهو من سدوم ، وانه لغنى اريب ! » . فقال جارو : « لست أحب أهل سدوم ، فهم قوم سوء . . لقد رأيت بعضهم فى مصر منذ زمن بعيد . وهم يعبدون تمثالا من حجر يباركهم كلما ازدادوا فسوقا ! » . على أن لوطا لم يصغ اليه ، بل سرح بصره يتأمل الوادى ، الى أن أقبل التاجر ، فبادر مرحبا بلوط وقومه فى كثير من الملق والمداهنة ، وأردف قائلا : « عسى أن يتم زواج بين ربك وربتى فيسود السلام قومينا ! » . فقال لوط فى اقتضاب : « قد يسود السلام قومينا اذا شئتم ، ولكن . . لا زواج ! »

— ان كل امرئ عفى الوادى يعلم أنك قد خاصمت ابراهيم ، و . .
— لا خصام ، وانما هو فراق من أجل عشيرتنا . ولا يزال الحب بينى وبين ابراهيم قويا .

— لقد جئت أرحب بك ، واحمل الهدايا الى نسائك .
وقبل أن يعترضه « لوط » ، كان قد وضع أمام « اسكيا » وابنتيها بعض عطور الشمال ، وزيوت الغرب ، وبخور الشرق . .
ولمعت أعين النسوة ، بينما كان « عبار » يتأمل وجوههن السمرءاء التى كانت تتسم بالجمال — رغم خلوها من كل زينة — وأدرك من نظراتهن أن سبيله معهن أيسر منها مع لوط . على أنه التفت الى هذا قائلا : « أما انت فأعدك بخدمات لا نهاية لها ، فلسوف ترى أن ما من خافية تخفى على « عبار » ، فى هذا الوادى ! »

- است بحاجة الى خدماتك . .
 - ان لدى بيتا بديعا ، خلف أسوار المدينة ، فاذا شئت . .
 - قد أقيم مع قومي في الحقول . ولكن كيف عرفت اننى
 انفصلت عن ابراهيم ؟
 - انه هذا حديث الناس في كل مكان ، فعندما يتشاجز
 عظيمان . .

وصاح لوط : « لم نتشاجر ! . . وهل علم القوم في سدوم
 وعمورة ؟ » . فقال عبار : « اذا لم يكونوا قد علموا به ، فسوف
 يعلمون الليلة ، اذ أرسلت - عندما لمحت نيران معسكرك - نبأ
 الى « بوثيا » ، الكاهن الاعلى ! »
 - ان يكون بينى وبينه اتصال . .

- ولكنه حاكما ، وان تستطيع ان تبتاع خيطا من العشب
 بدون اذنه . وهو الذى جعل وادينا رخاء ، وأهلنا بي هناء .
 - ان هناءكم اثم وشر ، فأنتم تعبدون ربة من حجر !
 - لست اريد ان أجادلك يا لوط النبيل ، فليقنع كل منا
 بالله ، ولنحاول ان نكون على وفاق ! . . لسوف ندخل المدينة
 ظهر باكر ، اذا ساعدنا الحظ .

- أما نحن فسنأخر عنكم يومين أو ثلاثة .
 - سأدبر لك كل شيء مع « بوثيا » ، وسأكون وسيطابينكما . .
 - وستحصل على ربح كبير !
 فضحك عبار قائلا : « لست يا لوط الجليل زعيما دينيا
 مثلك ، وانما أنا تاجر ! » . . وقبل أن ينصرف ، التفت لوط
 الى زوجته وابنتيه ، فأمرهن بأن يعدن الهدايا الى التاجر .

ولم تغب عن الاخير الكآبة التى رانت على وجه « اسكيا » ،
فلما فرغت من اعادة الاشياء اليه ، دس في يدها خفية قنينة
صغيرة من الرخام ، فيها عطر ، وهو ينظر اليها نظرة ذات معنى . .
وفى تلك اللحظة ، رددت جوانب الوادى صرخة ألم . ودب الهرج
بين مضارب العشيرة ، وجاء شخص يقول ان ذئبا هاجم احد
الرعاة - ويدعى « قارون » - فعضه فى ذراعه . . فأمر « لوط »
بحمل المصاب اليه ، وعنى بتضميد ذراعه بأعشاب خاصة ،
و « عبار » يرقبه باهتمام ، حتى اذا فرغ قال له : « انه لن
يستطيع ان يستخدم ذراعه ثانية ، وكان من الافضل أن تقتله ،
كما نفعل فى سدوم » . فأجاب لوط : « نحن لا نجذو حذوكم ،
وان تلبث الاعشاب أن تبرىء الجرح فى أيام قلائل ، فيعود
قارون الى عمله ، ويظل مقدر المصنيع ! »

- أظن أن تقدير المصنيع يجعله رجلا صالحا ؟ . ان العارف
بالمصنيع يظل يشعر بأنه مدين ، والمدين لا يستطيع أن يحب
دائمه ، وأن يخلص له !

- قد يكون هذا بين قومك ، ولكنه ليس بين قومنا !

وعندما انتفت « اسكيا » وابنتاها والمربية فى اغطيتهن
واستلقين على مقربة من بقايا النار فى ذلك المساء ، قالت نعمة :
(« ان التاجر رجل غريب ! ») . وقالت أبومى : « يالهيبي !
انك لتخالين انه يرى الدنيا بأسرها حين يفتحهما ! » . فقالت
اسكيا : « ما أكثر ما يرى ! » . . وخيل اليها أن التعب الذى
كانت تستشعره قد فارقها ، ولكنها تظاهرت بالنوم ، حتى

إذا اطمأنت الى نوم الجميع ، نادى « جارو » فأقبل عليها فى دهشة ، واذ ذاك سألته هامة : « هل زرت (سدوم) و (عمورة) يوما يا جارو ؟ » . . فقال : « لا يا مولاتى ، ولكنى التقيت بكثير من أهلها ، وعرفت طباعهم . . لكم أنا خائف منهم ! » . . فهمست : « حدثنى عنهم ، وعن مدينتهم . . وعن عسرات ! »

وأخرجت قنينة العطر من ثيابا ثوبها ، فقربتها فى حذر من وجهها ، وهى تخفيها عن « جارو » . . وجعلتها كلماته ورائحة العطر تشعر وكأنها سكرى !

— ٣ —

♦ قال رسول « عبار » للكاهن الأعلى — فى ذلك المساء — ان لوطا قد بلغ الوادى بعشيرته ، بعد خصام دب بينه وبين ابراهيم ، وان « عبار » يعتقد أنه يعتزم الاستقرار فى الوادى . . وتسابقت آلاف الافكار والخواطر فى رأس « بوثيا » ، فلم يلبث ان قال للرسول : « قل لعبار اننى أريد أن أراه بمجرد وصوله ! » . . حتى اذا انصرف الرسول ، خف بوثيا الى مخدع ديبون فأنهى اليها النبأ ، وأردف قائلا : « ان الامر يتوقف على نوايا لوط ! » . فقالت وهى تسخر منه : « وما لنواياه ؟ . . اننا الحاكمان هنا ! » . ثم أردفت فى ضيق : « دع هذا الآن . . » ، ولكنه قال : ان لوط الها غير منظور . . اله ابراهيم ! . . انه اله يتحدث الى ابراهيم ، ويرسل اليه ارواحا تسمى الملائكة . . وقد يؤدى هذا الى خلاف بين قومى وقوم لوط » . فقالت : « لن يطول ذلك : ولسوف تتكفل

عشيرات بالامر ، أما الآن فاننى أريدك لنفسى . أم ترانى أبعث
 فى طلب سواك ؟ » . وشد بوثيا على ذراعيها ، وقال : « لن
 تمسى سواى ، طالما كنت هنا ! »
 . . وحاوات أن تتملص ، ولكنه تشبث بها ، وقد بدأ يغضب
 - وكانت تريده على أن يغضب ! - وأمسك بسوط ، فنضت
 غلالتها عن بدنهما ، وقالت : « اضرب ! » . وكانت على شفتيها
 ابتسامة ظافرة . . وحملق فيها فى سخط ونقمة ، ولكن يده
 تخاذلت ، وهوى منها السوط . . كان يريد أن يضربها ، ولكنه
 لم يقو على ذلك ، فلم يملك سوى أن يشدها اليه بعنف وقوة .
 وأنشبت أظافرها فى ظهره . ولم يلمح ابتسامة النصر على
 شفتيها ، وهى تشعر بأنها قد فرضت عليه رغبتها !



— ٤ —

♦ استأنفت عشيرة « لوط » سيرها مع مطلع الفجر ، وقد حملت متاعها على أربعين عربية تجرها الثيران . وكان لوط وأسرته آخر المتحركين . وتأمل لوط القوم قبل أن يسير . كان يدرك أنهم — وهم حوالى ستمائة فرد — يعقدون آمالهم عليه ، فهو شيخهم الدينى ، وأبوهم الروحى ، وزعيمهم ، ومرشدهم ، وراعيهم ، وحاميهم . . . كان كل الخير الذى يرتجون ، فقد كان حكيما ، خلق للزعامة والرئاسة ، وكان ابن أخى ابراهيم ، وكان أثرا لديه ولدى ربه . ومن ثم فقد كانوا على استعداد لان يتبعوه أينما ذهب . . . ولقد اشفق بعضهم من المستقبل حين دبت الفرقة فى الصفوف ، واضطر ابراهيم ولوط الى الانفصال ، وغشيهما قلق وترجس ، ولكنهم راحوا يتطلعون الى لوط بثقة واطمئنان . وكانت ضخامة قامته تدعم هذه الثقة فى نفوسهم .

وهبط لوط التل وئيدا ، وهو يرقب عشيرته . لكم كان يحبهم ! . . . وكان مطمئن النفس الى أنه رحيم بهم فى حزم ، كريم فى عدل ، وكان يشرف على توزيع الثروة بينهم ، كل حسب حاجته ! . . . وراحت « اسكيا » ترقبه بدورها ، وتتبع عينيه حتى استقرتا على عربية معينة . . . العربية التى كانت تحمل ذهب العشيرة وفضتها . ومدت اسكيا يدها فى اطواء ثيابها تتحسس شيئا ما . كان لديها هى الاخرى كنز تعتز به ، قنينة العطر ! . . . كانت فى ريب من أنها ستتمكن يوما من استخدام العطر ، ومع ذلك فقد اعتزت به . وكانت تدرك ان فى احتفاظها

بالقنينة خروجاً على طاعة لوط ، وهى التى لم تعصه يوماً ، بل كانت تدين له بحياتها ، وأفكارها ، ومعاييرها الخلقية ، وكل شيء . . فلقد قضت نصف عمرها زوجة له . ومن الصحيح أن صلتها به قد أضفت عليها عزة ومكانة ، ولكنها لم تتح لها هناء ، ولا متعة ، ولا نشوة . . وان لم تكن تعرف المشاعر - التى خالجتها - بهذه الاسماء !

لقد سمعت من « جارو » - فى الليلة السالفة - ان اهل (سدوم) كانوا يعيشون من أجل لذة الجسد فحسب ، وما عرفت هى يوماً للجسد أية لذة وانما كانت تشعر بوخزات آليمة لا تدرك لها تفسيراً . وكانت لا تملك أن ترد عن خيالها ذكرى ذلك السدومى القصير ، المكرش ، ذى الوجه القذر ، الذى أرادها على أن تستبقى قنينة العطر ، وتآمر معها على اخفاء الامر عن زوجها . . لقد كانت نظراته اليها أشبه بومضات البرق !

وظلت العشرة فى سيرها طيلة النهار ، اللهم الا فترة - حوالى الظهر - استراح خلالها القوم . . حتى اذا جنحت الشمس الى المغرب ، تناهى الى سمعهم خرير ماء ، فهرع الرسل الذين كانوا فى المقدمة الى لوط ينبئونه بأنهم بلغوا النقطة التى تنحدر فيها الارض مفضية من المنطقة الجبلية الى الوادى الخفيض . . فأمر لوط بالتوقف عن السير ، وراح يتأمل المنطقة فى انفعال . . وبدأ وادى الله ، ومدينتا (سدوم) و (عمورة) ، وقد لفت الجميع غلالة من الغبار . . وكانت المدينتان تقبعان عند

أقدام التلال ، وكأنهما صيفتا من عاج ، على رقعة من مخمل أخضر . ورأى لوط الاسوار الحجرية المحيطة بالمدينتين ، والحقول ، والبساتين ، والكروم . وفطن من تأملاته على صوت « جارو » ينبهه الى جمع من اربعين أو خمسين شخصا ، كانوا يتسلقون أحد الجبال ، وبعضهم يتعثر ويتخبط ، وكأنه أعمى أو عاجز . وظل لوط يراقب الموكب الغريب ، وسرعان ما أدرك ما وراءه : كان القسم الأكبر منه يضم شيوخا طاعنين في السن ، وعميانا ، ومشلولين . أما الباقون فكانوا حراسا ، يتبعهم في المؤخرة رجلان في عباءتين بيضاوين . . حتى اذا بلغوا قمة الجبل ، أشار الرجلان المذان في المؤخرة ، فأخذ الحراس يدفعون الآخرين الى الهوة السحيقة التي كان الجبل يشرف عليها . . وارتجف لوط استنكارا ، وهو يسائل نفسه : « أتراهم مجرمين ؟ . . ولكنهم شيوخ ، وعميان ، ومشلولون ! اذن فلابد أن سدوم تتخلص بهذه الطريقة من المسنين والعجزة ! » . . وسمع نهضة بجواره فالتفت ، واذا « جارو » يتطلع اليه بعينين دامعتين ، بدا فيهما الخوف ، والشقاء ، والذهول . . وهتف العبد : « لا تقدنا الى سدوم وعمورة أيها السيد النبيل ! . . أبعدنا عن هذا الرادى ، فانه موطن شر واثم ! »



♦ ما أن بلغ « عبار » متجره أخيرا ، حتى انهمك اعوانه في نقل السلع ، بينما دلف هو الى حجرة داخلية ، فاذا ابنه « سوسيم » مع صديقه « كاريدا » جالسان . . وتطلع الوالد الى أبيه في حب مصطنع ، وقال : « اية هدايا جئتني بها ؟ » . .

فصاح عبار : « آتيك بهدايا وقد قعدت عن استقبالي عند أبواب المدينة ؟ .. ثم ما حاجتك الى هدايا وانت الاثير لدى « بوثيا » ، وبوسعك أن تأخذ المعبد بكنوزه اذا شئت ؟ .. والحق أن « عبار » كان فخورا بأن ابنه كان أثيرا لدى الكاهن الاعلى ، وكان مدينا لهذا بقسط كبير من نجاحه هو . ولقد كان عبار غنيا ، فازداد غنى بعد أن عشق الكاهن الاعلى « سوسيم » .. بل لقد أصبح « بوثيا » يستشير « عبار » في كثير من الامور، ويعتمد عليه في معرفة أنباء العالم المترامي في خارج الوادي ! .. ولقد عرف « سوسيم » بما عاد على أبيه من وراء حظوته هو الذي الكاهن الاعلى ، فأصبح يتدلل على « عبار » . كما فطن الى جماله الفتان ، وقوامه اللدن، والسحر الكامن في نظراته وابتساماته ، فاستيقظ طموحه ، وأصبح يشعر بنوع جديد من الظمأ الى على نفسه أن يرويه .. كان لديه المال - بوصفه ابن « عبار » - وكانت كل الابواب تفتح في وجهه بوصفه خليل « بوثيا » ، وكانت القلوب - قلوب الرجال والنساء على السواء - تهيم به ، فلم يبق سوى النفوذ والسلطان .. وكان المعبد هو مصدر النفوذ والسلطان ، ومن ثم راح الفتى يرسم خطته دون أن يفتح بشأنها أحدا ، حتى أباه وصديقه الحميم « كاريدا » ، وان حدسا هما ما كان يراوده ، فكانا أحيانا يشفقان عليه من طموحه !

وقبل أن يستقر بعبار المقام ، استدعى الى المعبد .. وركع بين يدي الكاهن الاعلى ، الذي استمطر بركات « عشيرات » عليه ، فأنبأه « عبار » بأن لوطا لن يلبث أن يصل بعد يومين ، وأنه قد اعتزم أن يقيم وعشيرته في ربوع الوادي ، الذي كان

يعتقد ان رب ابراهيم قد منحه اياه . فتساءل الكاهن : « وكيف
يعتزم أن يستولى على الوادى ؟ .. أبالقوة ؟ »
- ما أظن ، فان اوطا أخرى بأن يكون صديقا .. وقد
تحدثت اليه بالامس ، وأرى أنه يؤمن بأن الاله غير المنظور
سيتولى تدبير أمر الاستيلاء على الوادى !

- ان تسمح « عشيرات » بذلك .. وان ارتضيه أنا !
- ولا أنا .. ولو سمحتم لى بأن امثلكم فى الصفقات التى
يعقدها هنا ، لتكفلت بذلك . فان المدينتين ، والحقول ، والناس
جميعا ملك لكم .. لقد تعاملت مع لوط فى الماضى ، فأنا أدري
الناس به . انه يطمئن الى ثروته أكثر مما يطمئن الى قوته ،
واعتقد أنه أكثر استعدادا للنزول عن ذهبه ، منه عن دماء
اتباعه .

- أراك قد حسبت لكل شىء حسابه ، فما خطتك ؟
- لنرحب بلوط كأخ ، وسأقنعه بأن من الخير أن نتبادل
المنفعة عن أن نتحارب . وان الوادى لشاسع ، فلنعطه جزءا
منه ، مقابل سعر نحدده . ولسوف يحتاج الى أمور كثيرة ،
وان لديه من الذهب والفضة ما يكفى لكى يدفع الثمن .
فدغه يملك ايها الكاهن الاعلى طالما كان بوسعنا أن نفيد منه ،
حتى اذا فرغ نفعه ، استطعنا أن نشر قومنا وقومه ضده .
فان قومه قد عرفوا قبضة ابراهيم قبله ، وهو ليس فى قوة
ابراهيم ، ولذلك فلانه ان يلبث أن يطمعهم فى ضعفه !

منهم زملاءهم . وبدأ « لوط » قلقا ، متوجسا ، فان مشهد اعدام المسنين والعجزة بالقائهم من أعلى الجبل ، أحيا في ذاكرته ما كان يعرفه عن أهل (سدوم) . . . وكان رجائه مكدودين ، فخشى ما قد يترتب على ذلك من متاعب اذا شاء أهل سدوم أن يقابلوهم بقتال !

وكانت المدينة على استعداد منذ الصباح الباكر ، فاتخذ الحراس أماكنهم على الاسوار ، ونقل النبأ الى « بوثيا » بأن لوطا وقومه عند مشارف الوادي . . . وأدرك « عبار » - حين أرسل اليه الكاهن الأعلى يأمره بأن يستقبل لوطا خارج أسوار المدينة - ان « بوثيا » قد أخذ برأيه ولم يشأ أن يكون بادئا بالعداء . .

وكانت الشمس في السميت عندما وقفت العشرة عند أسفل التل المشرف على سدوم ، على مائة ياردة من حراس المدينة المسلحين ، بينما تكأأ أهل المدينة على الابواب . . . وأقبل « عبار » فانحنى أمام لوط قائلا : « أهلا بك يا لوط النبيل في سدوم وعمورة . . كل شيء معد لكم ، وقد انابني بوثيا عنه في استقبالك ! » . . . ولحظ أن عين لوط قد اتجهت صوب الحراس المسلحين ، فبادر قائلا : « انهم موكب استقبالك يا لوط ! » . فأجاب لوط : « وان رجالي لعلى استعداد لان يردوا التحية ! » . فضحك عبار قائلا : « ان عشيرات تدعونا الى السلام يا لوط القوى ، ولكم يسرنا أن تشاركونا خصب وادينا . أية خدمات تستطيع أن أوديها لكم ؟ » . . فقال لوط : « لسوف احتاج الى أشياء كثيرة . . سأحتاج أولا الى دار لاسرتى ، وحقول لعشيرتى ، ومراع لماشيتى »

— أما الدار فعندى ، وفى الوادى متسع للعشيرة والماشية ..
 وجدير بك أن تأوى الى الدار أولا ، لان نسوتك متعبات .
 وفكر اوط قليلا ، ثم قال : « سيرا فتنى جنودى ! » ..
 فقال عبار : « لمجرد المظهر اللائق ، وليس للحماية ، فلست
 بحاجة الى حماية فى سدوم وعمورة . وبينما ندخل المدينة ،
 ارجو ان تسمح لرجالى بأن يقودوا اتباعك الى الحقول الجنوبية
 ريثما تختار الارض التى تريد شراءها » . فقال اوط لامراته
 وابنتيه : « اذهبن مع العشيرة ريثما اتفقد الدار ! »
 واجتاز اوط ابواب المدينة ، وكأنه فاتح مظفر .. وتراحم
 الناس يرمقونه ويتهامسون ، وهو مسدد بصره الى الامام ،
 وحراسه خلفه .. وتناهت الى اذنيه الهمسات : « ما أجملهم ! »
 .. « يالمتانة تركيبهم ، كأنهم فحول ! » . وبرزت من الجمع
 فتاة لفت ذراعها حول ذراع أحد الحراس قائلة : « هذا الرجل
 لى ! » . ولوحت عجوز بزجاجة خمر من احدى النوافذ ،
 وهى تصيح : « هل كل رجالكم بهذا الجمال ؟ » .. وقال عبار
 مبتسما : « رأيت يالوط كيف نبذى لكم الود ؟ » . فأجاب
 لوط : « ماجئت أنشد ودا فى الوادى ، ولقد امرت قومى بأن
 لا يصاحبوا أهل سدوم ! » . وكانوا قد بلغوا ساحة السوق ،
 فبدا المعبد شاهقا فى أحد جوانبها ، وهنا وقف اوط قائلا :
 « ما أحسبك تقودنى الى المعبد ؟ .. لقد قلت لك ان لا شأن
 لى بالمعبد ولا بمعبودتك ! » . فقال عبار فى ملق : « ولكن بوئيا
 تواق الى مقابلتك ، وقد أوفدنى لاستقبالك ! » . ولكن لوطا
 أجابه فى جفاء : « اننى اتقبل التحية ولا أقبل الصداقة ، فلا
 حاجة بنا الى ان نلتقى ! »

وسكت « عبار » على مضض . . وتحولوا الى الجانب الآخر من الساحة ، فاعترضت طريق الموكب امرأة ثملة ، نصت عنها ثوبها ، وحاولت أن ترتدى على لوط أولا أن تقدم جندي سدومي فجذبها جانبا ! وواصلوا سيرهم من شارع الى شارع ، حتى بلغوا طرفا من المدينة تحت سفح الجبل ، ولوط متأفف لما كان بصره يقع عليه من مناظر العرى والمجون . وما لبثوا ان بلغوا الدار ، فاذا بها منعزلة ، تقوم وسط حديقة واسعة ، وارفة الظلال ، وكان المبنى يضم خمس غرف . وما أن اعجب به لوط ، حتى تحول انى عبار يسأله عن ثمنه ، فأجابه : « عشرون مثقالا من الفضة » . فضحك لوط قائلا : « اننى لاشتري المعبد بهذا الثمن » . . وبعد مساومة ، أصر لوط على أن لا يدفع أكثر من ستة عشر مثقالا من الفضة ، فتظاهر التاجر الماكر بأنه ينصاع كارها .

واذ انصرف عبار ، تحول لوط الى « جارو » يأمره بأن يحضر زوجته وابنتيه الى الدار . وتلكأ جارو برهة ، ثم قال : « لا تتبع هذه الدار يا مولاي . . ان هذه مدينة سوء ، فلنبتعد عنها والا أصبحنا كأهلها ! » . فأجاب لوط : « لا تخش . شرا ، فأنا أعرف أهل سدوم ، ولست أحسب لهم حسابا . . أنسى أن الله هو الذى رغب فى أن نكون هنا ، وهو الذى سيرعانا ؟ »



♦ ما ان انصرف « جارو » ، حتى خلا لوط الى نفسه ، فانصرف بقلبه الى ربه ، وما لبث أن قلب طرفه فى السماء ، ثم تحركت شفتاه تتمتمان : « يارب ابراهيم ، ارع عبدك بين

هؤلاء الاغراب الذين قدته اليهم . . اهده كما هديت ابراهيم ،
 وأرشده الى ماتبغى ان يفعل ، واكشف له عن وجهك ، واسمعه
 صوتك ! . . اللهم احمنى وقومى من شرور هذا المكان ! »
 وكان أهل (سدوم) فى الانتظار ، فما أن راوا نسوة لوط ،
 حتى صاح أحدهم : « أنظروا الى ملابسهن ! » . ولوح نحوهن
 قائلا : « أنتن فى حزن على عشاقكن ؟ » . . والتفت سوسيم
 الى صديقه كاريدا ، وهتفت : « كنت أعرف أن لوطا غنى ،
 ولكنى لم أكن أحسبه من أصحاب التحف ! » . فقال كاريدا :
 « انهن جميلات ! . . انظر الى صفراهن ! لم أر فى حياتى من
 هى فى جمالها ! » . . وشرق سوسيم لنفسه طريقا بين القوم ،
 فأفسحوا لخليل الكاهن الاعلى ، ثم اندفع فطوق خصر (نعمه)
 قائلا : « مرحبا بكن فى سدوم وعهورة ! » ، وقبلها . . فأسرع
 محاربوا لوط يدفعونه عنها ، بينما تبعه بصر « نعمه » دون
 وعى منها !

ونظر سوسيم الى « اسكيا » ، وعلى شفثيه ابتسامة واهنة ،
 فأشاحت امرأة لوط اذ شعرت بحرارة نظراته ، فاتسعت
 ابتسامته . . كانت ابتسامة طالما فتنت قومه ، وقد اعتاد أن
 يطمئن الى سحرها !

وارتاحت اسكيا اذ انتهى الركب الى الدار ، وقد عولت على
 ان لاتنبىء لوطا - ولو مؤقتا - بما حدث ، لانها لم تكن على
 يقين من حقيقة مشاعرهما ازاء هذا الذى حدث . وكانت تخشى
 أن تبالغ فى تقدير بشاعة الامر ، أمام ابنتيها . . يالعينى الفتى ،
 ويالشفثيه ! . . لقد نظر اليها ببساطة ، وكأنه لم يأت ذنبا .
 ومع ذلك ، فقد كان عمله اثما عظيما ، لو ان الذى ارتكبه كان

أحد رجال لوط لأقصى عن العشيرة فوراً .. واستقر رأيها على أن خير ما ينبغي أن تفعل هو أن تحكم الرقابة على ابنتيها ، فلا تخبر زوجها بالأمر إلا إذا حاول سوسيم أن يمضي في غيه ! وقال الكاهن الأعلى إذ أنهى إليه عبار نبأ الصفقة الأولى : « انك لم تفد كثيراً من لوط » . فقال التاجر الماكر : « رأيت أن أتساهل لاستدرجه ! » .. وابتسم برثياً قائلاً : « سأعفيك من الضريبة عن هذه الصفقة ، لأظهر لك رضاء عشيرات ورضائي ! .. وبهذه المناسبة ، اننى لم أر ابنك منذ زمن ، فمره ان يوافيني الليلة ! »



♦ دلف « سوسيم » الى المعبد ، فلم يعترض أحد من الحراس طريقه ، وهم الذين لم يكونوا يسمحون لأحد بالدخول بمجرد أن يجن الليل .. واجتاز الشرفة ، ثم انحرف الى سرداب كان يمتد تحت الارض ، ويتفرع الى طريقين : أحدهما يفضى الى القسم المخصص لبوثيا ودييون ، والآخر الى قلب المدينة .. وكان استخدام هذا السرداب محرماً على غير الكاهن الأعلى وزوجته ، ولكن « سوسيم » كان ذا مكانة خاصة ! ومر في سبيله بمخدع الكاهنة العليا ، فاذا الباب مفتوح ، وهى مضطجعة فى صدر المكان . والتقى بصره ببصرها ، فأنحنى تحية لها . وخفضت الكأس التى كانت ترفعها الى شفثيها - إذ رآته - وأشارت إليه أن يدخل ، وفى عينيها وميض غريب .. ثم قالت : « ألسنت ابن التاجر ؟ .. لقد رأيتك فى عيد المقرابين ، وسألت عنك ! » .. وتجلى فى نظراتها فضول متراخ ، وهى

ترد ف : « لماذا لا أراك ؟ » . فأجاب سوسيم : « لست أهلاً
لعينيك أيتها الكاهنة العليا ! » . وابتسمت لرده اللبق ،
وقالت : « بل إن منظر ك يروق لعيني ! » . ما الذى أتى بك
إلى المعبد ؟ » . فأجاب : « لقد استدعانى الكاهن الأعلى ..
إنه شرف حظيت به مرات ! »

ورفعت حاجبها دهشة ، وقالت : « بل هو شرف غير
عادى ! » . ووضعت كأسها على نضد ، ونهضت فسارت
إليه ، وراحت تتأمله .. وابتسم ابتسامته التى كان يدرك
سحرها ، فازدادت تفرساً فيه ، وقد ثار فضولها ونانيتها .
لقد كان يحلو لها دائماً أن تظهر سلطانها على « بوثيا » ،
فعولت على أن تستخلص هذا الفتى الفاتن لنفسها .. على أن
جهال « سوسيم » آثار فى نفسها مشاعر أخرى ، فاذا بها
- لأول مرة فى حياتها - تهفو إلى أن تغوى رجلاً بفتنتها هى
وحسنها ، لا بنفوذها ومكانتها ! وكانت تدرك أنه لا يجرؤ على
أن يمسها بدون إذن منها ، فرغبت فى أن يتجرأ ويتواقح معها ،
كما يفعل مع أية أنثى تروق له ! .. وألقد أدرك « سوسيم »
بغيتها ، فان محاولة الإناث - بل والذكور - اغواءه لم تكن
بالشئ الجديد عليه ، لذلك صمم على أن لا يكون المبادر، وعلى
أن لا يستسلم لها بسرعة ، إذ كان خبيراً بأن الذى يجهد فى
اغوائه ، يصبح أسلس قياداً من سواه .

وقالت ديبون : « سمعت أن لك عشاقاً وعشيقات ، فمن
منهم الأثير لديك ؟ » . فأجاب سوسيم بدهاء : « اعتقد أن
دعوة الكاهن الأعلى ترفعه على كل من عداه ! » . ولمعت عيناها
بلهب الغيرة ، وقالت : « وهل ثمة أنثى ؟ » . فأجاب وهو

ماض في خبثه : « لا ، اللهم الا . . ! » . وسكت مترددا ، فهتفت تشجعه وهي تزداد اقترابا منه : « تكلم ! » . وتظاهرها بالخوف . . ورمقها لحظة ، وكأنه يزن الامر بميزان العقل والحكمة ، ثم قال : « ليس لاحد أن يبلغ مبلغ الكاهن الاعلى الا . . » . وسكت لحظة أخرى ، ثم أردف : « كل امرئ يعلم أن أجمل نساء الوادي هي . . الكاهنة العليا . وما من رجل الا يحلم بأن يحظى بأن تدعوه اليها ! » . فتساءلت : « وأنت ؟ » . وأجاب : « لست مختلفا عن غيرى من الرجال » . فقالت : « بل أنت مختلف . . ولماذا لم تطلعننى على رغبتك ؟ » .

— ما كنت لاجسر على هذا . .

— وهل كنت تشتهينى ، لو اننى لم أكن كاهنة عليا ؟ وكانت عيناه لا تتحولان عن عينيها . . وأدرك أن فرصته قد سنحت ، فرفع يديه ، وراح يتحسس كتفيها برفق . وأذهلها رفقها هذا ، فقد كانت تتوقع اندفاعا منه . واغمضت عينيها ، ورفعت فمها نحوه ، ولكنه لم ينقض على شفتيها . وازاحت غلالتها عن جسمها ، فأخذ يتحسسها في نعومة . وجذبتة نحوها ، وهي تهمس : « الدم ! » . . لقد اعتادت أن لا تنتشى الا اذا ضربت بالسوط حتى يسيل الدم من بدنائها ، ولكن « سوسيم » أبى عليها ذلك ، فقد كان يؤثر طريقته . . اللمسات الخفيفة ، الرقيقة ، الناعمة ، التى تدفع الدم حارا في كل البدن ، لا خارج البدن ! . . واذا اشتد اندفاع الدم حتى ألهب حواسها ، راحت تضربه بجماع قبضتيها ، وهي تهمس بصوت متحشرج : « أكرهك ! »

. . وادرك أن الثمرة قد حان قطافها !

— ٩ —

• كانت الحقول المنبسطة جنوبى المدينة أجمل من كل ما قد يخطر بالبال ، ولكن أهل (سدوم) لم يكونوا أهل عمل وجهد ، فأهملوها . . وأدرك عبار من نظرات لوط أنه عرف قيمتها ، وأنه لن يرتضى عنها بديلا ، فراح يساومه فى لباقة ودهاء ، ثم قال : « اخشى اننى لا أملك البت فى أمر هذه الارض يا لوط ، فهى ملك للمعبد ، ولا بد من استشارة الكاهن الاعلى ! »

— ولكنى أريد هذه الارض ، فقل لكاهنك الاعلى أن يقدر الثمن الذى يبتغيه !
— اسوف يكون غاليا . . وما أحسبه يقل عن مائتى مثقال من الذهب !

ووجد عبار عناء فى أن يتمالك نفسه ، عندما أخذت العزة لوطا فأعلن أنه على استعداد لأن يدفع الثمن . . وكان تسرعه فى قبول هذا الثمن الذى غالى غريمه فيه ، دليلا على تلهفه على نيل الارض . وما أن انصرف ، حتى قال جارو لمولاه : « انك لتدفع بسخاء يا مولاي » . فقال لوط : « أعرف هذا ، وقد ذكرت مرارا يا جارو ان الله — اله ابراهيم — راغب فى أن تكون هذه الارض لنا » . فعاد العبد يقول مترددا : « وهب إن الكاهن الاعلى رفض أن يبيعها ؟ » . فكان جواب لوط : « اذ ذاك نحارب من أجلها ! » . . ولكن رجاله كانوا متعبين من الرحلة الطويلة . وما كان لوط يجهل ذلك ، فشاء أن يشتري راحتهم بالسخاء فى الثمن .

— ١٠ —

♦ كان الكاهن الاعلى ثائرا ، عندما أقتيد «عبار» الى غرفته ، فلقد ظل يرتقب « سوسيم » طويلا — في الليلة السالفة — دون أن يوافق ، وهو الذى اعتاد أن تكون رغبته أمرا واجب التنفيذ !.. وزاده غيظا أنه ظل يسمع طيلة الليل أصواتا في مخدع « ديبون » ، فكانت الكاهنة العليا تلهو وهو محروم ، وقد منعه من أن يذهب اليها أنه ظل يأمل أن يوافق «سوسيم» .. وراح يغالب الضجر بالخمير ، حتى صرخته ، فلم يستيقظ الا وقد انتصف النهار التالى .. وكان أول ما فعله أن استدعى « موام » القائم على ادارة شئون المعبد ، وقال له :

— ارسل فى استدعاء عبار التاجر فورا ، ومر رجالا بالذهاب الى المدينة ليتجسسوا اين قضى « سوسيم » الليلة السالفة .. وسل عبيد الكاهنة العليا عن كان معها بالامس .. والآن ، ماذا لديك ؟

— لقد ذهب لوط صباح اليوم الى الحقول التى نزل فيها قومه ، وترك نسوته فى الدار ، بعد أن أقام عشرة من المحاربين على حراستها . ولقد ذهب رعاياك ليلة الامس الى الدار ، فصدّهم الحراس ..

— وما شكل هؤلاء النسوة ؟

— وجوه بلا زينة ، ولكنها جميلة .. وأجساد ملتفة فى غلائل طويلة لا تشف عن شيء .. ولكنهن جذابات ، وبشرتهن أخف من بشرة نساءنا . ثم أن الصغيرتين منهن بلا رجال ،

ويقال انهما عذراوان !

ودهش بوثيا ، فما كان من المألوف في (سدوم) أن تظل الصبايا عذراوات ، سيما اذا كن « جذابات » .. بل ان العذرية كانت تزهد أهل المدينة الآثمة في الانثى ، لانها تعنى أن تلك الانثى غير مدربة ولا خيرة بفنون الهوى ! .. ولكن تفكيره في نساء لوط لم يصرفه عن غضبه ، فلما اقبل عبار ، استقبله متجهما . وأدرك التاجر أن صاحب السلطان الاعلى في المدينة غاضب ، فأراد أن يسرى عنه بأن يطلعه على الصفقة التي عرضها على لوط لقاء الحقول الجنوبية ، ولم ينس أن يذكر له نصف الثمن الذي قبله لوط ، ليفيد من الفرق ! .. فضحك الكاهن وقال : « انك لص يا عبار ! .. أما وقد قبل لوط الثمن ، فلك أن تحتفظ بخمسة مثاقيل ، لقاء تعبك ! » . ودهش عبار لهذا الكرم ، فقال : « ان الكاهن الاعلى اسخى الناس ! » . ولكن بوثيا أجابه : « لست من السخاء كما تظن ، فلا تنس أن لتمثلك المعبد في الصفقة ضريبة يجب أن تؤديها ! »

وتحول الكاهن الاعلى قائلا : « انك سعيد الحظ ، فقد انقذك هذا النبا من غضب كان خليقا بأن يحقق بك .. لماذا لم تنبئ ابنك بالامس بما أمرتك به ؟ » . وجزع عبار ، وراح يؤكد له انه حمل الامر الى ابنه ، ولا بد ان عقبات لا تقاوم حالت دون أن يلبي « سوسيم » الرغبة السامية .. ثم اندفع التاجر الى المدينة يبحث عن ابنه ، وانهال عليه لوما وتقريعا ، ولكن

ألفتى هز كتفيه فى قحمة ، وقال : « لقد كنت فى المعبد ، ولكن .. مع الكاهنة العليا ! » .

وذهل عبار ، افراح يتمتم : « أيها المجنون ، الفشاش ! .. لسوف نلقى جميعا حتفنا من جراء ذلك ! .. أفتتخلى عن اطاعة الكاهن الاعلى لتقضى الليل مع الكاهنة العليا ؟ » .. واخذ ينهال بالاسئلة على « سوسيم » فلما تأكد ان هذه كانت رغبة « ديبون » نفسها ، وان أحدا لم يره لانه سلك السرداب السرى ، قال له : « اذن فاذهب لفورك والتمس لقاء الكاهن الاعلى ، وتضرع اليه ان يغفر لك ، وازعم له ان بعض الاصدقاء استوقفوك - وانت فى طريقك اليه - وسقوك خمرا ، فلم تلبث ان فقدت الرشده ! .. أما الحراس الخارجيون ، الذين صادفتهم عند الابواب الخارجية ، فسأتكفل بهم .. واخضع لكل ما يأمر بك به بوثيا ! »

واغتسل سوسيم واتخذ زينته ، ثم سعى الى المعبد ، وهو ناظم على أبيه .. فقد أدرك أنه كان خائفا على نفسه وتجارته من غضبة بوثيا ، أكثر مما كان خائفا عليه هو ! .. ولم يكن يخفف عنه انفعالاته ، ويهون من الحوافز المتمردة التى بدأت تثور فى نفسه ، سوى ذكرى الليلة التى قضاها مع « ديبون » ، وما قالت له وهو يتأهب الانصراف من لدنها : « ما عرفت لك مثيلا يا سوسيم من قبل ، ولسوف استدعيك كلما شئت .. وسأحقق لك كل ما تتمنى ، فاطلب ما تبغى ! » .. ولقد سألها سوسيم اذ ذاك : « والكاهن الاعلى ؟ ! » . فهزت كتفها قائلة : « انه عبدى ، ولن يتردد فى أن يرتضى كل ما أريد ، فلا تهتم به .. انت كاهنى الاعلى منذ اليوم ! »

- ١١ -

♦ **جلست « اسكيا » وحيدة الى جوار بركة الماء - في حديقة الدار - وقد نام كل من كان في البيت . . . كانت قد اضطربت حين جاءها « قارون » اينبئها بأن لوطا قد اعتزم قضاء الليل في الحقول ، وانه منوط بأن يرافقها اليه في اليوم التالي . لقد كانت تشعر في وجود « لوط » بأمان ، لا سيما في هذه المدينة الوثنية ! . . . وأثارت الليلة القمرية الهادئة في نفس « اسكيا » حنينا الى رجلها ، وكانت تعلم مدى شوقه الى أن يكون له ولد ذكر ، ولكن لوطا لم يكن يوما بالعاشق الشامري المزاج ، وان كان حفيا بها ، كريما معها . . . وكانت هي - في تلك الليلة - بحاجة الى ما هو أكثر من الحفاوة والكرم ! . . . كانت تفتقد شيئا ما ، طالما ساورها الحنين اليه في السنوات الاخيرة !**

ونفضت « اسكيا » أخيرا ، فدارت حول البركة ، ثم راحت تجوس خلال الاشجار ، على غير هدى . وفجأة ، لمحت خيالها على الارض ، فوقفت تتأمله . ثم رفعت ذراعيها ، فرفع الخيال ذراعيه ، وتمايلت فتمايل الخيال ، ودارت حول نفسها فدارت حول نفسه ، وبسطت ذراعيها أمامها ، ثم مالت برأسها الى الخلف ، وحملت في السماء . . . وما فطنت الى أن هناك من كان يرقبها من ثنايا الظلام . فان الحديث عن نساء لوط أثار فضول الكاهن الاعلى ، فكمن في المنزل المقابل يتحين نظرة اليهن . وكان قد أقام كهنة في هذا المنزل لمراقبة لوط ، مذ

وفد على المدينة ، فلما علم انه ازمع أن يقضى ليلته تلك في الحقول ، كمن في الدار ، فرأى « اسكيا » في الحديقة . . وهاجبه منظرها في جلستها الحاملة ، وفي هيامها بين الاشجار ، وفي حركاتها . . وتمنى لو عرف ما كان يراودها من أفكار وأحلام ، وقد اشتتم انها كانت تعاني حينا ما ، وانها كانت تستشعر وحشة تهفو بأعصابها وأحاسيسها !

وواصلت اسكيا تجوالها حتى بلغت الباب الخارجى ، فلم تجد أحدا من الحراس . . واستندت الى الباب ، وراحت تتأمل الطريق ، فاذا بها خالية هادئة . . وفتحت الباب ، فخطت الى خارجه ، ثم وقفت تتفرس فيما حولها . واذا اطمأنت ، طمعت في مزيد من التحرر ، فسارت على مهل مترددة ، نحو قلب المدينة . . ونفلت بوثيا من مكمنه ، وراح يتبعها عن بعد . . وما لبثت « اسكيا » أن أحست بخطوات خلفها أخرجتها من حلمها رغم خفة وقعها . وظنته في البداية أحد الحراس ، ووقفت ، فوقف . . ولمحت ثوبه أبيض يتألق في الظلام الذى كان ضوء القمر الواهن يحاول أن يبده . واقترب الرجل ، فغشيها خوف اذ تأكدت أنه من أهل سدوم ، ولكنها لم تكن تملك سبيلا الى العودة ، فجمدت في مكانها . . وازداد الرجل اقترابا ، حتى وقف على بعد أقدام منها . . وما لبث أن قال في صوت خافت : « اننى أحب أمثال هذه الليلة الهادئة ، ائدافئة ! » . . ولم تتكلم . فعاد يقول في رجاء : « لا تخافينى فلن أمسك بسوء . . لست أبغى سوى أن أتكلم ! » . . ولم تنبس ببنت شفة ، وقد اشتد خوفها . وتسائل : « أتريدى أن أنصرف ؟ » . . وكان الصمت جوابها



عليه . فلما أعياه الانتظار ،
سألها : « هل نتمشى قليلا ؟ »
وخطت اسكيا جانبا ، وقالت
والخوف يملأ جوانحها : « أريد
أن أعود » . فقال ضارعا :
« بل امكثي معي ! » . فقالت :
« من الخطأ أن أكون معك هنا » .
ولكنه قال : « انه لخطأ أكبر
أن ننكر نفسي هنا ! » . وارتجف
صوته وهو يمضي قائلا :
« سأدعك تعودين ، ولكن ..
دعيني أراك ثانية ! » . فقالت :
« لا .. يجب ألا أراك أبدا » .
ولم تكن ثمة قوة تحول دون
أن يتقدم ، فيمسك بيدها
ويرفعها الى شفتيه .. ثم
أفلتها ، فأسرعت عائدة وهو
يتبعها عن كثب .. وكان
الحارس منكمشا الى جوار
الباب ، وقد استغرق في النوم ،
فتسللت الى الداخل ، وأسهرت
الى غرفتها .

— ١٢ —

♦ في تلك الليلة ، كان « كاريدا » يقف على سفح الجبل المجاور لدار لوط ، يتطلع الى المبنى في شوق وحنين . . لقد رأى هو الآخر زوجة لوط وهى تهيم فى الحديقة . وما لبث الحارس أن جال حول البيت جولة ، ثم اختفى . . ورأى « كاريدا » المرأة وهى تقترب من الباب ، ثم وهى تبرحه وتسير فى الشارع . وما لبث أن رأى رجلا فى ثوب أبيض يتبعها . ولم يستطع أن يتعرف على الرجل ، ولكنه لم يشغل باله به ، اذ وجد الفرصة سانحة لمغامرة جريئة . فلقد تدله فى هوى « أبومى » - الابنة الكبرى للوط - مذ رآها عند وفودها الى المدينة ، ولكنه لم يجسر على أن يقبلها كما فعل سوسيم بأختها !

وهبط السفح فى هدوء ، ثم تسلل خلال باب الدار فى حذر ، بعد أن اطمأن الى بعد الحارس . . ويمم شطر المبنى ، ثم أخذ يطل فى الغرف كالص ، حتى وجد الغرفة التى كانت الفتاتان تنامان فيها . . وكانت « أبومى » تنام مولية وجهها شطر الباب ، فتسلل بخفة ، وجثا على الارض ، وراح يتأمل وجهها ، ويتحرق شوقا الى أن يقبل شفيتها الشهيتين . ولكنه ظل قابعا يتأملها فى صمت ، حتى نبهه صياح ديك الى اقتراب الفجر . واذ ذاك وقف ، ثم خلع عن رقبته قلادة ذهبية كانت تنتهى بتمثال دقيق لعشيرات ، كان من أغلى ما يعتز به ، فدلاها برفق وحذر ، حتى استقرت فى صدر ثوب « أبومى » ، بين نهديها . . وأسرع يغادر الغرفة ، ثم تسلل من الدار كلص

هارب . . وفيما هو يجتاز الحديقة ، أبصر شبح امرأة مقبلة من الخارج ، فتوارى بين الأشجار . . . كانت نفس المرأة التي رآها تبارح الدار . . . وتبين - في هذه المرة - انها ((اسكيا)) ! وما أن اطمأن الى أنها قد غابت داخل المبنى ، حتى انفلت خارجا . ورأى الحارس منكمشا ، نائما بجوار الباب ، فانطلق في الطريق بخطى سريعة . وفجأة ، لمح شبحا في ثوب أبيض ، يسير أمامه . . . وخيل اليه أنه يعرف صاحب الشبح ، ولكنه لم يشأ أن يلحق به ، بل تبعه في هدوء ، حتى رآه يغيب عن بصره ، عند المعبد . وهتف كاريدا في نفسه : « لا ! . . من المستحيل أن يكون الكاهن الاعلى ! » . . . وخفق قلبه بعنف ، وهو يقول لنفسه : « ولكنه هو ، لاشك في هذا ! » . واشتد خفقان قلبه ، وقد خطرت بباله فكرة : « . . . وزوجة لوط ؟ ! » . وأسرع نحر داره ، وهو يجاهد ليطرد الفكرة من ذهنه !

- ١٣ -

♦ **استيقظت** « اسكيا » في ساعة متأخرة من الصباح ، ولكنها ظلت مسترخية في فراشها لا تبرحه ، وقد راح ذهنها يستعرض ما حدث في الليلة الماضية . . . وجمد قلبها خوفا وهي تتذكر ذلك الغريب . واستولى عليها ندم عارم ، وهي تبين مدى الذنب الذي ارتكبته ، اذ سمحت له بأن يقبل أصابعها ! . . . وزاد من بشاعة الذنب في نظرها ، ان الرجل كان من أهل (سدوم) . . . وتمنت لو أنها لم تكن قد ولدت ، اذ تصورته وهو يروى لاصدقائه مغامرته مع امرأة لوط ، فلا يلبث الامر أن ينتشر في المدينة ، وأن يبلغ قومها ، ويبلغ لوطا ،

ويبلغ ابنتيها .. ياللطامة الكبرى ! .. وزادها عذابا انها لم تكن تدري ما حملها على ان تفعل ما فعلت . لماذا خرجت وحدها - وفي الظلام - الى المدينة الآثمة ؟ .. انها اول مرة يمسك فيها غريب يدها ويقبلها ، فلماذا لم تصده ، ولماذا لم تهرب منه ؟ .. بل الانكى من هذا ، لماذا لم تشعر باستنكار حين فعل ؟

واقبلت الجارية «برة» تذكرها بأن قارون كان في انتظارها ، ليرافقها الى الحقول ، فانتزعت نفسها من فراشها ، واغتسلت ، ثم سارت الى مخدع ابنتيها فلم تجدهما . وجاست خلال الدار بحثا عنهما ، ثم دلفت الى الحديقة ، فألفتهم هناك . ولم تشعرابها وهى تقترب .. وكانت نعمة تسائل اختها : «ولكن ، كيف تراك ستفسرين وجود القلادة ؟ » . وأجابت أبومى : « وماذا املك ؟ لقد استيقظت فرجدها على صدرى ! .. اننى أعرف أن أمى لن تصدقنى ، وأكن ما حيلتى ؟ »

- لا بد أن أحدا وضعها هناك .. ولم يكن فى الدار أحد .
أفتظنين أن بوسع أحد من السدوميين ان يتسلل الى داخل الدار ؟

- كيف وعلى الباب حارس ؟

- اذن ، فليس هناك سوى شخص واحد .. قارون ؟

- الراعى ؟! .. انه ليعرف أن من المحرم أن يكلمنا دون اذن من امنا أو أبينا ، كما انه لا يجسر ، سيما بعد أن انقذ أبونا حياته !

وتقدمت أمهما فى تلك اللحظة ، فأسرعت أبومى تدس شيئا فى ثنايا ثوبها ، ولكن اسكيا هتفت : « ما هذا يا أبومى ؟ ..

هاتيه ! » . واجفلت الفتاتان ، ونظرت كل منهما للأخرى ، ولكن أبومى لم تكن تملك سوى أن تطيع ، فأسلمت أمها القلادة . . وتأملتها اسكيا ، وهى تتساءل : « من أين لك هذه ؟ » . وروت لها الفتاة القصة ، ولكن اسكيا أبت أن تصدقها . وجزعت نعمة . . واغرورقت عينا أبرمى ، ثم قالت بصوت متهدج : « اقسم لك يا أماه اننى وجدتها على صدرى حين استيقظت ! » . وخفت نعمة الى نجدتها ، فقالت : « لا بد أن قارون هو الذى وضعها ! » . وهتفت اسكيا مبهوتة : « قارون ؟ . . كيف ؟ ولماذا ؟ »

— لست ادرى بل لست أجزم . ولكنه كان الرجل الوحيد فى الدار !

وتنهدت اسكيا فى حيرة . . أمن المعقول أن يكون قارون قد تسلل الى الدار ليلا ؟ . . واذا صح هذا ، أفلا يكون قد تفقأ حجرتها ولم يجدها فى مضجعها ؟ . . أترأه قد عرف ما جرى لها ؟ فماذا يكون من أمرها لو أنه اخبر أحدا ، وانتشر النبأ حتى تناهى الى أذن لوط ؟ . . ثم ماذا يكون من أمرها حين يعلم اوط أنها كتمت عنه ما فعله ابن التاجر اذ قبل « نعمة » يوم وصولهن الى المدينة ؟ . . من المحتمل أن يكون أحد السدوميين قد تسلل الى مخدع الفتاتين ، ولكن . . أكان أى سدومى يقنع بمجرد ترك القلادة ؟ . . انه ولا بد ((قارون)) ، فهو الوحيد الذى كان يمكن أن يهيم باينة لوط دون أن يجرؤ على أن يمسه ، لأنها ابنة سيد العشيرة ! . . ولكن ، ماذا يحدث لو انها أنهت الامر الى لوط ، فتحدث قارون عن تسللها هى من الدار ليلا ؟ وزادها حيرة ان قارون بدا ساكن النفس ، برىء النظرات ،

حين رافقها الى الحقول في ذلك النهار . وقضت يومها تفكر .
 مهمومة ، حتى اذا اتى المساء ، كانت قد استقرت على امر .
 فلما خلت الى لوط ، دفعت اليه بالقلادة فتأملها ، ثم سألها :
 « من أين لك هذه ؟ » . فأجابت : « من أبومى » . وعاد
 يسألها : « وكيف حصلت عليها ؟ » . واستجمعت اسكيا
 كل جراتها ، وراحت تقول : « **لقد سمعت وقع قدمين ، في**
بهيم ليل أمس ، فتطلعت خلال باب مخدعى ، ورأيت رجلا
يلج مخدع الفتاتين . » ولم يمكث الا لمحة من الزمن ، حتى اذا
 عاد ادراجه ، رأيت على ضوء القمر انه قارون ! . وفى
 الصباح ، وجدت أبومى القلادة على صدرها ! »
 وصاح لوط منفعلا : « هل ذهب قارون الى غرفة ابنتى
 وهما نائمتان ؟ . . ام تأكدة انت من ذلك ؟ » . فأجابت بجرأة :
 « **لقد رأيته بعينى !** » . وسرعان ما أمر لوط باستدعاء قارون ،
 ثم بادره متسائلا ، وهو يلوح له بالقلادة : « من أين لك هذه ؟ »
 . . ولم يبد على وجه قارون سوى دهشة بريئة ، وقال :
 « أنا يا مولاي ؟ . . اننى لم أرها من قبل ! » . وعبثا حاول
 أن يقنع لوطا بأنه لم يكن يعرف عن القلادة شيئا ، وبأنه لم
 يذهب - ولا كان يجرؤ على مجرد التفكير فى أن يذهب - الى
 مخدع ابنتى سيد القبيلة ! . . **ولكن ما قيمة انكاره اذا كانت**
((اسكيا)) تؤكد انها رآته بعينيها ؟ ! . . بل لقد آمنت ((اسكيا))
من دفاعه بأنه كان بريئا ، ولكنها لم تجد سبيلا الى التراجع . .
 وعندما سمعت صرخاته بعد ذلك ، وهو يتلقى عقابه ضربا
 بالسياط - قبل أن يقصى عن العشيرة - تمنى لو أن السوط
 كان يهوى على بدننها هى ، ولكن . . كيف تنقذه ، وهو الذى

قد يكون رآها حين تسللت خارج الدار في جنح الليل ؟ .. انها باقصائه عن العشيرة تغدو بمأمن ، ولكن .. اذا لم يكن هو الذى ترك القلادة ، فلا بد أن رجلا غيره ولجج مخدع ابنتيها ، فمن تراه ؟

— ١٤ —

• خمس ليال قضاها « بوثيا » فى الدار المقابلة لدار لوط ، على أمل أن يرى « اسكيا » ، ولكن هذه ظلت مع زوجها فى الحقول .. وكان يعود الى المعبد — مع كل فجر — وهو مكدود ، قانط ! .. وازعجه أنه لم يستطع أن يفقه تماما ما بدأ ينتابه من مشاعر .. لقد خبر من قبل ما يملك الرجل اذا ما انتهى امرأة بالذات ، ولكنه ككاهن أعلى لم يكن بحاجة الى أن يعانى ، فقد كان يكفيه أن يعرب عن رغبته لكى تستجاب ! .. **أما نحو « اسكيا » فان الحنين والشوق اللذين استوليا عليه كانا عجيبين ، لا عهد له بهما ! .. كانا غير مألوفين ، بقدر ما كانت « اسكيا » على غير غرار نساء (سدوم) و (عمورة) . وبات تواقا الى ان يعرف المزيد عن « اسكيا » ، فكان يتحايل لكى يعرب عن هذه الرغبة اعبار ، دون أن يستثير شكوك التاجر الماكر !**

ولم تظن « ديبون » الى ما أصاب الكاهن الاعلى ، اذ كانت مفرقة فى ارتشاف اللذة بين أحضان « سوسيم » . وكان هذا الهوى كفيلا بأن يوقظ لدى كل منهما طموحا متوثبا جريئا . وأخذ كل منهما يسعى الى مأربه فى حذر . فنفى ذات ليلة قال سوسيم لديبون : « اننى لا أكاد أصدق أن أحظى من

الكاهنة العليا بكل هذا الحب، وهى التى تملك ان تختار من تشاء من رجال الوادى ، والتى تستأثر بحب الكاهن الاعلى ! « . فتبدى الاستياء على ديبون ، وقالت : « **تعنى بوثيا ؟!** » . اننى أحس أحيانا بأن كلاً منا قد ابتعد كثيراً عن صاحبه . ان ضعفه ازاء استقرار لوط فى الوادى ، لا يغتفر . كانى بالكاهن الاعلى لعشيرات خائف من مجرد بدوى من رجال العشائر ! . ان اوطا يشق طريقه الى فرض نفوذه على الوادى بما لديه من ذهب وفضة . لقد ابتاع اراضى ، وعبيدا . . ولو استمر على هذه الحال ، لصار لديه جيش قوى من الاتباع ، يستطيع أن يحارب به قومنا ! »

ولمح « سوسيم » الاريب ما وراء كلماتها ، فتشجع على السعى لمأربه هو الآخر ، فقال : « ان أهل سدوم وعمورة يشعرون بغربة لوط ، وبغربة وضعه . واسوف اتحدث اليهم عما فى توطد نفوذه من تحد لنفوذ عشيرات ! » . فقبلته ، وهى تقول : « ان شيئاً ما يشغل بال بوثيا فى الفترة الاخيرة ، وقد أصبح يهمل واجباته المقدسة ، مما أزعج كهنة المعبد ، وحدا بموام الى أن يلجأ الى أكثر من مرة . . واست أدري الى متى يستطيع بوثيا أن يظل حاكماً للوادى ! » . وتطلع اليها سوسيم فى دهشة وجزع ، فضحكت قائلة : « ان عشيرات انثى ، فلماذا لا تحكم الوادى باسمها انثى ؟ »

وكشفت بهذا عن مأربها ، فقال سوسيم فى دهاء : « ولكن المعبد والشعب ان يقبلا أن تحكمى بدون كاهن أعلى ! » . ففكرت برهة ، ثم تمتت هامسة : « ستكون انت كاهنى

الاعلى . . وسننتقم معا لعشيرات من رب لوط الذى لا تراه عين ! »

وهكذا شرعا يفكران فى خطة تمكنهما من التخلص من «بوثيا» ! وبعد ظهر اليوم التالى ، ساقى المصادفات لسوسيم مفتاح الخطة . فلقد زاره « كاريدا » - ولم يكونا قد التقيا منذ أيام عديدة - فأخذ يروى له مغامراته الجريئة فى بيت لوط . وراح سوسيم يصفى بانتباه ، ثم ازداد اصغاء عندما اختتم كاريدا قصته قائلا : « ولقد كاد أمرى ينكشف . . ففىما كنت أغادر الدار ، فرجئت بزوجة لوط عائدة من الخارج ! » . فقال سوسيم : « لقد كان الوقت متأخرا ، فكيف كانت خارج الدار وحدها ؟ » .

— لم تكن وحدها ، فقد أبصرت رجلا . . وكان من أهل سدوم !

وعبس سوسيم ، وقد اشتد اهتمامه ، وقال : « سدومى . . مع امرأة لوط ؟ » . وعجب كاريدا من هذا الاهتمام ، فبدأ ينتقى كلماته قائلا : « الحق اننى لم أرهما معا ، وإنما رأيته يغادر الدار المقابلة - عندما خرجت هى - ويتبعها عن كذب . . وعندما عادت ، وبارحت أنا الدار ، رأيته يسير أمامى ، فأوحى لى هذا بأنهما كانا معا ! » . وتمالك سوسيم نفسه بجهد ، وهو يستدرج كاريدا بأسئلته ، فيعرف منه أن الرجل سار الى المعبد ، وأن الشاب اشتبه فى أنه كان . . الكاهن الاعلى ! . . واضطجع سوسيم فى مجلسه ، وهو موزع بين الدهشة والطرب . . لقد كان هذا يفسر التطور الذى طرأ على « بوثيا » فى الفترة الأخيرة ! . . وياله من سلاح طيب !

ان اتصال بوثيا بامرأة لوط يرقى الى درجة الخيانة لعشيرات !

— ١٥ —

• عاد لوط الى داره قبيل الغروب ، فجلس الى جوار البركة — في الحديقة — وجلست اسكيا وابنتاهما على مسافة منه ، بينما انهمك « جارو » في اعداد نار يسمرون حولها .. وفيما هم كذلك ، اقبل الحارس يعلن مقدم عيار ، فعبس لوط ، والقى نظرة على نسائه ، ثم أشفق أن يصرفهن ، وعول على أن لا يطيل بقاء التاجر ، فأمر باستدعائه ..

واغتبط عيار اذ لمح النسوة وهو يجتاز الحديقة ، فقد كان وجودهن مادة لنبا يرتاح اليه الكاهن الاعلى ، الذى كان دائم السؤال عنهن .. وبوغت لوط — كما ارتجفت اسكيا وابنتاهما — اذ رأوا خلف التاجر ابنه سوسيم ، وصديقه كاريدا ! .. واقبل التاجر ينحنى امام لوط فى ملاهنة ، قائلا : « آمل أن تغتفر لى أن عكرت صفو جلسة عائلية يا لوط النبيل .. واسمح لى أن أقدم لك ابنى وصديقه ، فقد كانا تواقين الى أن يحظيا بشرف مقابلتك منذ زمن ! » . وجلس عيار على مقربة من لوط ، بينما انتحى الشابان جانبا غير بعيد من النسوة ، وراحا يسترقان النظرات نحوهن . وما لبث لوط أن انهمك مع عيار فى الجدل بشأن بعض صفقاتهما . فلم يفتنا الى « كاريدا » حين وقف واقترب من النار ، وكأنه يصلح من شأنها ، ثم مال نحو أبومى ، وهمس : « ماذا فعلت بالقلادة ؟ » .. وانصرع عائدا الى مجلسه ، دون أن ينتظر جوابا .

وبهتت « أبومي » وتبدى عليها جزع لمحتة عين « سوسينم » ،
فابتسم في خبث . وسمعت « أسكيا » الهمسة فارتبكت ،
وسرحت بصرها نحو التل الملتف بالظلام ، وساءلت نفسها :
اذن ، فهو كاريدا ؟ وماذا تراه يعرف عن مقامراتها ؟ . . وحدث
لله ان لوطا لم يفطن الى ما حدث ، وان عينيه لم تريا حركة
الشاب .

ولكن عينين اخريين كانتا ترقبان كل شىء من فوق التل . .
عينا « قارون » ، طريد العشيرة ، الذى جلس ساعات طويلة
يرقب ما كان يدور في دار لوط ، وقلبه مفعم بالحق . . وما
كان ضرب السياط أكثر الما لقارون من شعوره بأن لوطا أبى ان
ينصفه ، ورفض أن ينصت لدفاعه ، وأصدر عليه ظلما ذلك
الحكيم الذى آذاه في جسده ، وآذاه في كرامته وسمعته أمام
العشيرة كلها . . لقد اعتاد قارون أن ينصت الى لوط كلما
تحدث الى العشيرة عن ربه ، فيزداد حبا لذلك الرب ، وللوط
.. ولكم سمع ان هذا الرب عادل ، كريم ، رحيم . . فلماذا
اذن لم ينعم هو بالمدالة ، ولا بالرحمة ؟ !

وكان حين تمالك نفسه - بعد السياط - قد هام على وجهه
في التلال ، يجر جسده المشخن بالجراح ، المثل بقلب ملاء
الغضب ، والحق ، والكراهية . . ثم لم يلبث أن وقع ، فلم
يعد يحس بشىء حوله . . حتى اذا أفاق من غشيته ، استولت
عليه حمى قاسية ، اسلمته الى بحران وأحلام مزعجة !
وعندما أفاق ، وجد امرأة تحنو عليه ، وتلك ظهره بأصابع
رقيقة مغموسة في الزيت . وهتفت به في رفق ، اذ فطنت الى

أنه استعاد وعيه : « لا تتحرك ! .. اسوف تعنى بك » ثيما «
وتمرضك ! .. لقد وجدتكَ خارج الاسوار ليلة أمس ، فما
الذى أصابك ؟ .. ومن الذى ضربك ؟ .. أمن رجال لوط
أنت ؟ » . فأوماً برأسه .

.. وأحس بشفتيها تطبقان على شفتيه ، وبجسمها يلتصق
بجسمه .. وحاول أن يبتعد ، ولكن آلام ظهره شلت حراكه ..
وأحس يدي « ثيما » تتلمسان جسمه ، ولكن النعاس غلبه ..
حتى اذا استيقظ ثانية ، وجدها تغسل جسمه بماء فاتر .
وسألها : « اين ثيابي ؟ » . فأجابت : « لقد كانت مهلهلة ،
وسأرسل فى احضار ثياب جديدة لك » . ولم تحاول أن تلح
عليه بالسؤال ، حين تبينت انه يأبى أن يروى ما حدث له ،
ولكنها قالت له : « بوسعك أن تبقى هنا اذا شئت .. انك
أول رجل أجده بقربى منذ احدى عشرة سنة »

— لست فى حالى الراهنة سوى حطام رجل !
— بل انك لرائع ، فابق معى .. اننى واسعة الشراء ، وأريدك
لنفسى ، وقد لا أكون جميلة ، ولكننى كنت يوماً خلافة الفتنة .
بيد أن روائى خبا منذ أحد عشر عاماً ، فلم يعد يولبنى الحب
أى رجل ! .. اننى لا أحب الاشفاق ، فاعتبرها صفقة !

ولم يأب الصفقة ، فقد كان هو الرابع .. كان قد صمم على
أن لا يعود لقومه ، كما كان بحاجة الى مأوى ، والى قوت ريشما
يبت فى أمر نفسه ! .. وفى تلك الليلة ، جلس « قارون » مع
« ثيما » ، فى حديقة دارها يتسامران . وفجأة نسألها : « اين
منزل لوط من هنا ؟ » . فسألته فى جزع : « لماذا ؟ .. »

واضطر الى ان يروى لها قصته ، ليبرر رغبته في أن يراقب دار ظالمه !
ومنذ تلك الليلة بدأ يراقب الدار !

— ١٦ —

♦ أخذت مشروعات « لوط » تتسع مع الايام ، حتى قوى لديه الامل في أن يبسط سلطانه على الوادى ، لا سيما وأنه لم يلق من السدوميين ما يوحى بأى اعتراض على استقراره وقومه فى الوادى ، كما ان ما بدا منهم من اهتمام به — أكثر مما كان ينبغى — لم يلبث ان خبا على مر الايام . وأخذ اطمئنان لوط الى اهل المدينة يزداد ، حتى انه لم يلبث أن استغنى نهائياً عن اقامة حارس على داره .

وفى تلك الاثناء ، كان « بوثيا » يزداد تدلها فى حب « اسكيا » ، ويحاول عبثاً أن يراها . . . ولم يكن يدرك سر شوقه اليها ، ولكنه كان يعرف انها تختلف عن كل النساء الاخريات . . . ولو أنه أدرك أن « اسكيا » كانت تفكر فيه ، لاغتنبط . . . ولو انها كانت لا تفتأ تلوم نفسها على تلك اللحظات القصار التى كانت بينهما . واذكت أكدوبتها — التى لقى قارون بسببها ما لقى — النيران التى راح ضميرها يكويها بها . ثم زاد من عذابها ما اكتشفته من أن « كاريدا » كان صاحب القلادة ، فقد أصبحت تخشى أن يكون قد رآها مع ذلك السدومى الغريب ، فى الليلة المشئومة ! . . . وكانت الابتسامة التى لمحتها على شفتى سوسيم — حين همس كاريدا لأبومى بسر القلادة — تثير ذعرا غريباً فى نفسها !

وكانت في المدينة امرأتان أخريان تعانيان آلاما مفايرة لآلامها،
وان كانت ذات علاقة بها . . وكانت « ثيما » احداهما ، فقد
أزعجها ان كان قارون يتسلل كل ليلة ليرقب دار لوط .
وعصفت بها الغيرة والخوف من أن تفقده ، ولكن قارون لم
يلبث أن طمأنها ، وقد بدأت تتبلور في ذهنه فكرة : **لقد كان**
لوط يحذر قومه من الاتصال بالسدوميين ، وها هو ذا قارون
قد رآه يستقبل « عبار » والشبابين في داره ، ويجلسهم مع
نسوته ! . . وكانت عيناه قد لمحتا « كاريدا » حين مال نحو
« أبرمى » يسر اليها بأمر القلادة ، فأخذ يرثى لاهل العشيرة
الذين يحرم عليهم لوط ما أحله لنفسه ! . . وعلى ضوء هذه
الفكرة ، راح يفكر في انتقامه .

أما المرأة الثانية ، فكانت « ديبون » . اذ أن « سوسيم »
لم يكذ يوحى اليها بأن « بوثيا » كان يتسلل للقاء « اسكيا »
كل ليلة - كما زعم - حتى اتقدت في صدرها نار الحق . .
وعندما أرادت أن تستوثق من الامر ، زعم « سوسيم » أن
صديقه « كاريدا » كان عشيقا لاحدى ابنتى لوط ، وانه قد
روى له كيف لمح « بوثيا » يقبل « اسكيا » ، أثناء تسلله من
دار لوط ذات ليلة ، بعد لقاء مع حبيبته ! . . ولمعت عينا
ديبون بهزيج من الخوف ، والانتصار ، وقالت : « ترى ماذا
يقول السدوميون اذا عرفوا أن كاهنهم الاعلى يلتقى بامرأة
لوط ؟ . . ان من الغدر لعشيرات أن يسلم نفسه لامرأة كافرة ! »
وقال الشاب الخبيث : « ولكن الكاهن الاعلى هو الذى يسن
القوانين » . فصاحت في حنق : « للناس . . أما القوانين
الخاصة بالكهنة ، فمن لدن عشيرات . لسوف يدفع بوثيا

ثمن غوايته !.. يجب أن يوجه كاريدا الاتهام اليه علانية ، في
ساحة المعبد ! » .. وارتجف سوسيم وهو يقترب من دوامة
المؤامرة الكبرى . وبدأ لحظة أنه أوشك أن يضعف ، ولكن
ديبون بادرت تمنيه قائلة : « ان يوثيا لم ينجب مني ابنا يكون
له حق وراثة منصبه ، ومن ثم فسيخلو عرش المعبد .. وفي
وسعى إن أسوق الكهنة إلى اختيار من أرى اختياره ليشاركني
الحكم ! »

وامعانا في أحكام الخطة ، كان لابد من إثارة قوم لوط على
زعيمهم ، حتى لا ينتهز فرصة انتقاض السدوميين على كاهنهم
الاعلى فيغزو المدينة ، أو يشتري أهلها ، أو — على الأقل —
يهدد « ديبون » و « سوسيم » باستفحال نفوذه . وكان نبأ
الراعى الذى طرد من العشيرة ولاذ بدار « ثيما » قد شاع في
المدينة كلها . وما كان من العسير الوصول الى مأوى « قارون » ،
ولا الوصول الى قلبه الملىء بالحقد والرغبة فى الثأر .. وكانت
الطريق ممهدة لا قناع « قارون » بأن الكاهن الاعلى كان على
اتصال بامرأة لوط ، وان امره لن يلبث أن يعرض على السدوميين ،
فتكون فضيحة كبرى .. **وان قوم لوط خليقون بأن يفقدوا
ثقتهم فيه اذا ما عرفوا ان داره مفتوحة للسدوميين ، وهو
الذى حرم عليهم خالطتهم ، زاعما ان فى ذلك اغصابا لرب
ابراهيم !**

وقالت ديبون لقارون : « اذهب لقومك وحدثهم بكل هذا ،
و صف لهم ما يعيش فيه لوط من نعيم بينما يشقون هم فى
الحقول ، فهو يسخرهم لترفيه .. قل لهم ان من الحسارة ان
يريقوا دماءهم اذا انتهز فرصة اضطراب المدينة وامرهم بالقتال

.. وتذكر ان في انتظارك منصبا رفيعا في حاشيتي ! «
ولم يكن « عبار » غافلا - في تلك الاثناء - عما كان يجرى
حوله .. وراح يزن الامور في فكره ، فقد كان يحرص دائما
على أن يكون هو الرابع في كل مناسبة . واذا كان مصير « بوثيا »
قد أصبح محتوما ، فان الضجة التي ستقضى عليه ، ستعصف
بامرأة لوط وباحدى ابنتيه ، ولكن .. ماذا عن لوط نفسه ؟
لو انه استطاع - خلال الاضطرابات التي ستدب في المدينة -
ان يستولى عليها ، لضمن « عبار » لنفسه مكانة سامية لديه ،
ولازدهرت تجارته ، ولتخلص من الضرائب التي كان يدفعها
للمعبد .. ومن ثم فانه سعى الى لوط يساومه ، ويعدده بأن
يشترى ذمم الكثيرين من السدوميين ليقاتلوا في صفه ..
وأدرك لوط ما كان يطمع فيه « عبار » من مآرب ، ولكن ..
ألم يكن المشروع كفيلا بأن يحقق له ما كان يحلم به من أن
يكون الوادى له ولقومه !



وحان اليوم المرتقب .. يوم عيد عشيات ، بداية الربيع
ايذانا بموعد البذر والاختصاب ، فأخذ أهل المدينة يتقاطرون
- منذ العصر - على ساحة المعبد ، ارتقابا لبزوغ القمر ،
ليبدأوا احتفالاتهم الصاخبة التي تتسم بالاباحة المطلقة ،
وباطلاق العنان للشهوات ، على مرأى من تمثال ربتهم .
وكان « ديبون » و « سوسيم » قد اطلقا - في تلك الاثناء -
شائعات انسكبت في آذان السدوميين فسممت نفوسهم : لقد
كانت عشيات غاضبة لان لوطا الغريب قد استخف بها ، وجاء

يفرض سلطانه على الوادى، فآن لها أن تصب نقيمتها عليه وعلى ربه!.. وفعلت الاقاويل فعل السحر، لا سيما في ذلك اليوم، وقد أخذت الخمر تلعب بالعقول، فاذا الحنق يتحول الى هياج، واذا النفوس تتحرق للتأثر لعشيرات، ترتقب أول بادرة!

ولكن مصير الوادى كان قد تقرر بعيدا عن المدينة الآثمة، في خيمة «ابراهيم»، في بادية (حبرون). اذ قال الرب: «ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيتهم قد عظمت جدا»، فحقت على أهل الوادى النقمة. ولكن ابراهيم أشفق على ابن أخيه لوط، فقال: «أفهلك البار مع الاثيم؟.. عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة، أفهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه.. حاشا لك!». ووعده الرب بأن يصفح عن المدينة اذا وجد فيها خمسين صالحا. فعاد ابراهيم يشفع، وانقص العدد الى اربعين، ثم الى ثلاثين، ثم الى عشرين، ثم الى عشرة.. ووعده الرب بأن يبقى على المدينة اذا وجد فيها عشرة من الصالحين. ولكن الرب كان يعلم ان ليس في سدوم وعمورة عشرة من الصالحين!



وهبط المساء الموعود، فضاقت ساحة المعبد على رحبها.. واستقر «بوثيا» على عرشه. ثم دقت الطبول، فصمت القوم، وبرزت «ديبون» عارية، وقد بسطت ذراعيها فالتفت حرائهما حية كبيرة.. وراحت الكاهنة الفاتنة ترقص في عنف، حتى سرى دفء جسدها الى الحية، فراحت هذه

تسعى حتى التفت حول عنقها ، ورفعت رأسها وكأنها توشك أن تلدغها . . وصاحت الجماهير ، فاذا « ديبون » تشد الحية بحركة قوية مباغته ، فترفعها عاليا ، وتلوح بها في الفضاء ، ثم تطوح بها فتھوى على الأرض ميتة ! . . **وارتفع هدير القوم ، فوقفت ديبون مبتسمة ، كأنها ربة ، ثم سعت إلى عرش بوثيا فجلت أمامه ، وعادت تستوى على قدميها ، وتسير إلى عرشها .**

ورقصت عذراوان أخريان ، قدمتا بعد ذلك طعاما للنار السرمدية ، تقربا إلى عشيرات ! . . ودار عبيد المعبد بدنان الخمر على القوم ، فذكت نيران الوحشية في الأجسام . . وفي غمرة الصخب ، تسلل سوسيم وكاريدا إلى دار لوط ، وقد أسرا في نفسيهما أمرا . فقد أدركا أن القوم قد اعتزموا أن يغيروا على دار لوط ، انتقاما لعشيرات ، فأسرعا لينقذا أبومي ونعمة ، ولينتوجا ملاذ العيد بالعدراوين الجميلتين ! . . ولكن سوسيم لم يستطع أن يشق لنفسه طريقا وسط القوم الذين استبد بهم الخبال . أما كاريدا ، فقد استطاع أن يصل إلى دار لوط ، وأن ينتزع « أبومي » من مضجعها ، ويسرع بها إلى المعبد . . ونعمة تتبعهما !

واشتد صخب القوم ، حتى أيقظ « أسكيا » في بهيم الليل . . وأحست بيد سوداء تقبض على قلبها ، فهبت من مضجعها ، وأسرعت إلى غرفة ابنتيها ، فلم تجدهما . . ولمع في رأسها خاطر ، فلما اطمأنت إلى أن زوجها كان نائما ، هرعت إلى المعبد كالمجنونة . **ولمحا « بوثيا » فلم يصدق عينيه ، ثم نسي أنه الكاهن الأعلى ، فخف إليها . ولم تعرفه « أسكيا » ،**

فلما أحاط خصرها بذراعيه ليحميها من القوم ، هتفت في خوف : « اريد ابنتى ! » . وجذبها الى السرداب الخفى لتكون بأمن ، ثم قال : « سأبحث لك عنهما ! » . ولكنه لم يتمالك نفسه ، فضمها اليه - قبل أن يغادرها - وطبع على خدها قبلة . . بينما دفعته عنها قائلة : « اسرع بالبحث عن ابنتى ! » وخيل اليها أن دهرًا قد انقضى قبل أن يعود اليها بالفتاتين وقد شحب وجهاهما ، واستبد بهما الجزع ، فأسرعت بهما الى الدار . . ووجدن لوطا لدى الباب ، فصاح في غضب هادر : « أين كنتن ؟ » . ولذن بالصمت ، فاشتد به الغضب ، لولا أن تقدم جارو - من طيات الظلام - وقال : « لقد كن يتمشين يا مولاي ، وكنت في حراستهن ، فلا تخش بأسا ! » . وتردد لوط برهة ، ثم قال : « اذهبن اذن الى مضاجعكن ، ولنا حديث في الغد ! »

— ١٧ —

• اعترى بيت لوط - بعد الاحتفالات - تغير لم يفتن هو اليه ، رغم انه كان جوهريا ، عنيفا . . فلقد ظلت قبلة « بوثيا » تلهب خد « اسكيا » . . وأدركت انها لقيت - أخيرا - الرجل الذى يرضى أحلامها ، فنوزعتها الحيرة ، والجزع ، والقلق ، وغشيها من هذه الحال عذاب اليم . . وكمسحورة لا تملك من أمر نفسها شيئا ، أخذت تتسلل - فى كل ليلة - الى الدار المقابلة ، لتلتقى ببوثيا ، فيروحان يتحدثان عن أمرهما . . لقد أدرك كل منهما أنه كان يحب الآخر ، ولكن العقبات التى كانت تكتنفهما ملأت نفسيهما بالياس والقنوط .

شخص واحد أدرك ما كان يخيم على سماء البيت من غيوم ، فلم يكف عن التوسل الى لوط بأن يقرض أسرته وقومه بعيدا عن المدينة الآثمة . . ذلك هو « جارو » الاميين . حتى اذا ضاق لوط بالحاحه ، صاح فيه : « أنا الذى أفرر ما اذا كنا نرحل أو نبقى ! » . . وكان يرتقب الفرصة التى مناه بها « عبار » . فقد أخذت الاحداث تتطور منذرة بحرب ، فحرص لوط على أن يعفى رجال القتال من قومه من كل عمل ، لينصرفوا الى المران . . وما درى أن قارون كان ينفث فيهم سمومه ، ويوسوس لهم : « كم منكم سيلقون فى الحرب حتفهم ؟ . . ولمصلحة من ؟ . . لكى يزداد لوط سلطانا وثروة ، فيفرق فى الترف . . انه منذ الآن يستعبدكم فى الحقول ، بينما يعيش فى داره مرفها ! »

ولم تلبث سموم قارون أن سرت فى القوم ، فأوا ان لوطا قد حاد عن تعاليم ابراهيم ، وخشى شيوخهم الفتنة فأوفدوا رسولا الى ابراهيم . . وبدأ الشباب يتسللون الى المدينة شيئا فشيئا ، ويندمجون فى أهلها .

واشتد الصراع الخفى بين « بوثيا » و « ديبون » ، حتى بلغ ذروته ، ثم وقع الانفجار أخيرا . . فبتحريض من سوسيم ، وقف كاريبا فى ساحة المعبد يتهم الكاهن الاعلى بخيانة عشيراته ، واسلام جسده لامرأة لوط ! . . وأسرع الكهنة - الذين استمالتهم ديبون - الى الالتفاف حولها . واعتقل بوثيا فى حجرته ، ويثما يجتمع الكهنة فينظرون فى الامر . وانقسم أهل المدينة الى فريقين : فريق أبى أن يصدق الامر ، فراح يدافع عن بوثيا ، وفريق انحاز الى ديبون . ولكن

الفريقين أجمعا على ان لوطا هو سر ما حاق باوادي من بلاء !
 وكان لوط واسكيا في الحقول ، في ذلك اليوم ، فهرع اليهما
 « عبار » بالانباء . . وتحول لوط الى زوجته يسألها في غضب
 عما قيل عنها . . واستبد بها الخوف فشل تفكيرها ، ولم
 تعد تدرك سوى أمر واحد ، ذلك هو أن القوم لن يلبثوا أن
 يغيروا على دار لوط ، فصرخت : « ابنتاي ! » . . وهتف
 عبار : « لا تضيع الوقت يا لوط ، ارسل محاربك الى المدينة ! »
 . . وعادت اسكيا تصرخ : « ابنتاك يا لوط . . انهما وحيدتان
 في الدار ! » . وهتف لوط محزونا ، محسورا : « اواه يا اسكيا ،
 يا أم ابنتي . . لو صح ما تقوله المدينة عن ذنبك ، فلن اغفر
 لك . . ولن يملك أن يغفر لك سوى رب ابراهيم ! » . فجثت
 على ركبتيها ، وتشبثت بأهداب ثوبه ، وهي تصرع باكية :
 « انقذ أبومي ونعمة ! »

وصاح لوط يستدعي محاربيه ، ولكن أحدا لم يستجب
 اليه . . واستشاط غضبا فصرخ في شيوخ العشيرة ، ولكن
 كبيرهم هتف به : « هل ترى أن بسط سلطانك على هذا
 الوادي يستحق اراقة دماء قومك يا لوط ؟ . . لقد بذلك هذا
 الوادي ، فخرقت شريعة قومك ، فلم يعد لك في الطاعة حق ! »
 . . ووجم لوط . وود لو يتكلم ، ولكن الاخطاء التي انزلق
 اليها قفزت تباعا أمام بصره . . وتلفت حوله ، فألفى نفسه
 وحيدا ، وبكاء زوجته يتصاعد الى أذنيه ، وضراعاتها لا تكف :
 « ابنتاك يا لوط ، اتركهما للسدوميين ؟ . . لسوف اذهب

اليهما ، فهلا رافقتنى لتنقذهما ؟ »

وسلكا أقصر طريق الى الدار - خلال دغل ومنطقة صخرية يتبعهما « جارو » ، فتسلقوا السور الخلفى ، وهبطوا فى الحديقة . . وهرعت اسكيا كالمجنونة ، فلم تجد سوى « نعمة » ، أما « أبومى » فقد أخذها السدوميون . وصرخت اسكيا . . وجمد لوط فى مكانه . . لقد أصبح عميد العشيرة ورأسها وحيدا ، لا حول له ولا قوة ، فماذا يفعل ؟

واتجهت عيناه الى السماء ، وتحركت شفثاه : « لقد أذنبت يا الهى ! . . كانت روحى معك ، ولكن عقلى ويدي غررت بى ، فما كان ما ابتغيته سوى متاع الدنيا ، فاغفر لى يا رب ابراهيم ! » . . وانبعثت الكلمات فى حرارة صادقة ، شعرت معها اسكيا - لأول مرة مذ وفدوا على سدوم - ان الله كان قريبا ، فشرعت هى الاخرى تصلى ، وصرخة الام تتخلل دعواتها . . وفجأة ، تغيرت نغمة الصخب الذى كان خارج الاسوار ، وتصاعدت صيحات : « أيها الجميلان ، تعاليا معنا ! . . ما أجملهما ! . . ان شعرهما فى لون الذهب ! » . . وانفتحت أبواب دار لوط من تلقاء ذاتها ، فدلف منها رجلان لهما شعر من ذهب ، وبشرة بلون السحب الصافية ، وعيون كنجوم الفجر ، ومهابة تلقى الروع فى القلوب . . وتقدما فى خطى وقورة ، فقال أحدهما : « جئنا ننذرك يا لوط . . ان الرب غاضب على الوادى ، ولن يلبث أن ينزل به نقمته ! »

ومن الطريق صاح القوم : « اعطنا الرجلين يالوط ! .
اسلمهما إلينا نرد إليك ابنتيك ! . هاتهما نمكنك من الوادي ! » .
وصاح لوط غاضبا : « انما هما ملاكان موفدان من ربى ! » .
وتدافع الناس على الباب فبرز اليهم ، وصاح فيهم : « اليكم
ابنتى فافعلوا بهما ما يروق لكم ، ولكن لا تمسوا رسولى
ربى ! » . ولم يدرك انه بتصرفه هذا قد أَرْضَى ربه . أما الملاكان
فقد أدركا أن الرب قد أشفق عليه . وقال له أحدهما : « خذ
أهلك واخرج من هذا الوادى ، فسوف نهلكه وأهله ! » .
وهتف لوط جزعا : « لا ، لقد وعدنى الله بهذا الوادى ! » .
فأجاب الملاك الآخر : « ان الله لم يعدك بشيء من هذا ، وها
هو ذا الليل يهبط على سدوم ، ولن يقدر لها أن ترى النهار ! »

وظلت نزعة من أغراء الارض تراود لوطا ، فعرض على
الملاكين كل ما كان يملك من ذهب ، يضحى به قربانا فى سبيل
الابقاء على الرادى ، فصاحا فى صوت كالرعد : « لا تأثم .
**ان الذهب لا يلين قلب الرب ، وانما يلينه شيء واحد : ازجاء
الحب له ، والحب للناس !** » . وأخرجاه وأهله الى ما وراء
أسوار المدينة . ثم لمع داخل الاسوار ضوء أعشى العيون ،
ففتصاعدت أصوات القوم : « لست أرى ! » . « لقد عميت ! »
.. « ما هذا الظلام ؟ أين نحن ؟ » .

وهبطت نقمة الله . . وتدافع السدوميون ، يدوس بعضهم
بعضا ، ويتقاتلون فيما بينهم ، كل ينشد الفرار . . واشتدت
حرارة الجو ، ودبت السنة اللهب فى كل مكان ، واحمر وجه
السماء والارض على السواء . . وأسرعت ديبون الى غرفة

بوثيا ، وقد تبينت انها - برغم كل ما حدث - انما كانت تحبه .. وهتفت به : « بوثيا ، ان الفرصة لم تفت بعد .. ارنى انك مازلت تحبنى ! » . فأجابها فى اقتضاب : « لم أعد أحبك ! » . وانقضت عليه بغتة ، وقد انتضت خنجرا ، فقفز من مكانه ، وهجم فأطبق براحتيه على رقبتها ، وراح يضغط فى غيظ جنونى .. وأقبل سوسيم فى تلك الاثناء ، فانقض عليه من خلف ، وشد رأسه الى الوراء .. وهوت ديبون الى الارض ، وتدحرج الخنجر ، فانحنى عليه سوسيم ، وهو لا يزال مطبقا على بوثيا ، وغيب الخنجر فى صدر الكاهن !

واعندل سوسيم ، وظل برهة يجاهد ليلتقط أنفاسه .. ثم التفت نحو ديبون ، واذا بها قد زحفت الى جثة بوثيا ، فارتدت عليها وهى تصرخ : « ما احببت سواك يا بوثيا ، فاغفر لى ! » .. وفطن سوسيم فجأة الى ما كان يجرى فى المدينة ، فأسرع يغادر المكان .. وظلت ديبون فى حزنها برهة ، ثم رفعت رأسها فاذا كل ما حولها أحمر ، تشقه ومضات من برق خاطف . واذا تمثال عشرات ينهار ترابا .. ولم تر شيئا بعد ذلك ، فقد لفها ظلام دامس ! .. واهتزت الارض بعنف ، فاذا أعمدة المعبد تترنح ! .. واسرعت ديبون تتخبط ، متلمسة طريقها الى الساحة ، وهى تنادى الكهنة .. وكان هؤلاء أمام النار السرمدية ، وقد أمسكوا أبومى - ابنة اوط - يهmon بأن يقدموها قربانا ، فلم يعقهم سوى أن أظلمت أبصارهم ، فلم يعودوا يرون شيئا ..

شخص واحد ، شاء الرب أن يبقى له بصره .. ذلك هو

« كاريدا » ، الذى أندفع الى ساحة المعبد - فى تلك اللحظة - وهو يبحث عن أبومى . . وألم بالموقف بنظرة خاطفة . ورأى ديبون وهى تتخبط ، وتنادى الكهنة ، فأسرع وأمسك بيدها ، ودفع بها الى الكهنة الذين حسبوها ابنة لوط وهم لا يبصرون ، فطرحوا بها الى النار ، غير حافلين بصرخاتها . . بينما أسرع كاريدا فضم اليه أبومى ، وراح يجرى بها نحو أسوار المدينة ، وأعمدة المعبد تنهار ، وبنيانها ينهار ، والخراب يعم المدينة السابحة فى اللهب !

واذ أصبحا خارج الاسوار ، هتفت أبومى وقد استبد بها الاعياء : « اين امى ، وأبى ، واختى ؟ » . فقال كاريدا : « لا بد ان عشيرات قد عاقبتهم هم الآخرين ! » . ودفع الى يدها بقلادة تنتهى بتمثال صغير ذهبى لربته ، وهو يقول : « منذ الآن ستكون عشيرات ربتك ، فامسكى هذه لتحملك ! » . ولكنها ردت يده فى عنف ، اذ كان حب رب ابراهيم متغلغلا فى فؤادها . وفى تلك اللحظة ، أومض برق خاطف ، ودوى رعد قاصف ، واذا التمثال ينصهر فى يد كاريدا ، فيتصاعد منه لهب يحرق جسد الشاب . وغطت أبومى عينيها ، وصاحت : « رباه ! » . . وفى تلك اللحظة هبطت على كتفها يد رفيقة ، وسمعت صوت أبيها يقول : « الحمد لله ان انقذك يا ابنتى ! »



وسار لوط بأهله نحو التلال ، وشرعوا يتسلقونها ، دهرين أن يجسروا على النظر خلفهم ، فقد ظلت تتردد فى آذانهم

كلمات الملاك للوط : « لا تنظر الى ورائك ، ولا تقف في كل دائرة .. اهرب الى الجبل لئلا تهلك ! »

وبلغوا قمة الجبل ، فهتف لوط : « يارب ابراهيم .. لقد أخذت منى كل شيء : قومي ، وأرضي ، وماشيتي . لقد عاقبتني اذ حدث عن أوامرك .. لقد اذنبت ، فاغفر لي ! » ..
وامعن في السير ، ممسكا بيدي ابنتيه ، وجارو يتقدمهم يستطلع الطريق ، واسكيا في اثرهم ، لا تقوى على نسيان ما حدث ، وفي أذنيها نداء يتردد .. نداء بوثيا : « اسكيا ! اسكيا ! » ..
ولم تقو - اذ أوشكت أن تبلغ قمة الجبل - على مقاومة النداء ، فالتفتت خلفها .. ورأت كل شيء خرابا ، يبابا ! ..
وانقضت عليها - في اللحظة ذاتها - سحابة من السماء ، فأمطرتها حمما كستها ، فلم تعد تشعر بشيء ..

وما لبثت حرارة الجو أن لطفت ، وتبددت السحب ، وصفت السماء ، وتألق ضوء النهار .. وشعر لوط بأن امرأته ام تعد معه ، فالتفت خلفه - اذ ذاك فقط - فاذا بها عمود صلب !

وظل الدرس - درس الرب - يتردد خلال الاجيال :
« لا تجدف باسم الله ، فان الله محبة ، وحق » !

والله

تقدم لكم

ايدى

ثمرة يانعة من ثمار النخبة الفنية وإتقان الصنع



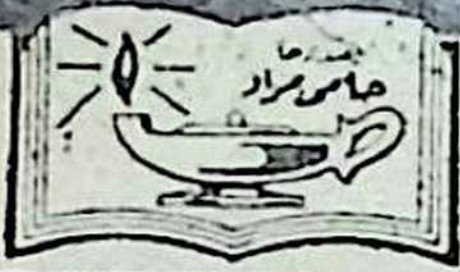
رائعة المظهر
مستقنة الصنع
جامعة لكل المزايا
مضمونة ٥ سنوات

الشلاجة ٩ قدم مكعب

ايدى

شاهدوه في صالات عرض "ايدى" بالقاهرة والاسكندرية
ولدي وكلاء البيع في أنحاء القطر وسجلوا طلباتكم من الآن

تحفة العدد ألقادم من « مطبوعات كتابي »



مطبوعات كتابي
الترجمة الكاملة الأمانة لشواخ الكتب العالمية

هل تحبين «برانس» ..

الترجمة الكاملة لأحدث وأروع
ما كتبت الأدبية الفرنسية
فرانسواز ساجان



مع أوفي ترجمة حياة فرانسواز ساجان
وعشرات الصور الفوتوغرافية النادرة لها في حياتها العامة
والخاصة

كتابي

يحسن لك - في هذا العدد والأعداد
التالية - مجموعة ضخمة من أروع الكتب
الحديثة التي قلبها لك من عواصم أوروبا
وآسيا.. ففتح أمام ذهنك آفاق
الثقافة العالمية على مصراعيها.. وكيف
لك ولأولادك زادًا عقليًا وغذاء
وجبانيًا لم يسبق لهما مثل باللغة
العربية.. فلا يفوتك اقتناء أعداد
هذه السلسلة منذ اليوم.



وترقب أيضا الأعداد الساتفة القادمة من السلسلة الشقيقة

مطبوعات كتابي

التي أعدت لك بدورها برنامجا ثقافيا ضخما

(قاهيتي)
جزيرة المحيط الهادئ

قصص الحب
في سياسة العالم

ملعوننة
هي الشهوة!
أحدث كتاب
عن حياة مولاتنا

يوميات
فرانسوا موراك

قصة الفساد
والاخلاق
في فرنسا
قبل الحرب الأخيرة

تعلم كيف تسرع
من كنت
علم النفس المعاصر



قوتية
العاشق

بسم الله الرحمن الرحيم
الاستغفار

الحياة الآخرة
(سوم وعمود)

الحياة اليومية
في أيام الفراغ

نابليون
العاشق

أول كتاب
عن حياة وإسالة
"سبحان فاج"